

دراسات الرائد

مجلة فصلية، العدد (الثالث) جماد الأول ١٤٢٧هـ - يونيو ٢٠٠٦م

الانظمة السياسية
الساددة في العالم

قراءة تحليلية
لاستطلاع (الرائد)
حول التجربة
الديمقراطية

صفحات هجر
العلم ومعاقله
- دراسة نقدية -

البهرة.. كيف
يفكرون وماذا
يعتقدون؟

معاني الفاظ
القرآن الكريم

أذونات الخزانة
المؤثرات
والانعكاسات

في قراءة لما قبلها من أحداث:

اليمن بعد الانتخابات الرئاسية

مكانة السنة النبوية
والإمام الهادي (ع)

الوقف..

المؤسسة الاجتماعية

الكبرى في اليمن



مجلة فصلية
يصدرها مركز الرائد
للدراستات والبحوث
صنعاء

رئيس المركز

عبدالله هاشم السنياني

رئيس التحرير

عبدالسلام عباس الوجيه

المركز الرائد

- أنشئ المركز بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٠م.
- يسعى المركز إلى:

١- المساهمة في وضع أسس قيمية منهجية للمعرفة تعتمد على المعلومة الصحيحة والمسح الإحصائي ودراسة الرأي العام، تكون أساساً لبناء العقلية القادرة على الوصول إلى الحقيقة.

٢- خلق أجواء عامة تجعل من قاعدة الحوار منطلقاً لبلورة المفاهيم وتحديد المصطلحات وتأسيس المناهج المشتركة لدى كل الاتجاهات.

٣- إشاعة المعلومة الصحيحة والبحث الموضوعي والتحليل العميق والدراسة الموثقة وإيصالها لكل المهتمين.

٤- دراسة الأوضاع السياسية ورصد التطورات ومتابعة المتغيرات المختلفة في اليمن ومحيطها الإقليمي (الجزيرة العربية والخليج ومنطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر).

- يطمح المركز أن ينضم بجهوده إلى قائمة الجهود المبذولة في ميدان الدراسات والبحوث وأن يقدم عملاً متميزاً يحظى من خلاله باحترام الجميع وتعاونهم.
- يرأس المركز الأستاذ عبدالله هاشم السنياني، الذي شارك في العمل الصحفي والسياسي منذ الثمانيات.

سكرتير التحرير

صارم الدين عبدالولي مفضل

العنوان

الجمهورية اليمنية - صنعاء

هاتف: ٢٧١٥١٨ - تليفاكس: ٢٩٤٥٥٩

ص.ب (١٤٨٥)

E-mail: siany@yemen.net.ye

الأسعار

١٠٠ ريال يمني

الاشتراكات

- داخل اليمن: للأفراد: ٢٠٠٠ ر.ي

للمؤسسات: ٤٠٠٠ ر.ي

- خارج اليمن: ٥٠ دولار أمريكي

متضمنة أجور البريد

الملف السياسي:

- ٥
٦
١٩
٣٠
٣٩
- حسين حمود العزي:
المنظم السياسية السائدة في العالم
في قراءة لما قبلها من أحداث:
اليمن بعد الانتخابات الرئاسية
قراءة تحليلية لاستطلاع مركز الرائد حول:
التجربة الديمقراطية ودور الأحزاب وتأثير القبيلة
 وإعادة ترشيح الرئيس صالح

الملف الفكري:

- ٤٠
٥٨
٧٠
- عبدالله هاشم السياني:
مكانة السنة عند الإمام الهادي (ع)
عبد السلام عباس الوجيه:
صفحات هجر العلم ومعاقله - دراسة نقدية
قراءة فكرية:
البهرة في اليمن: كيف يفكرون؟ وماذا يعتقدون؟

كتابات:

- ٧٧
٧٨
٨١
٩٢
- سليم لطف القيز:
نحو ثقافة قرآنية
علي القران:
الوقف.. المؤسسة الاجتماعية الكبرى في اليمن
محمد محمد السمه:
أذونات الخزانة.. المؤثرات والانعكاسات

فائز الحوييل

عندما يجد المرء نفسه أمام كم كبير من الأحداث والمهام التي تتصل بحياته ومستقبله؛ بمعاشواً منه، بدوره وواجباته.. ويجدها جميعاً في عصبه واحدة، وحزمة متداخلة، تفرض نفسها على وقته وجهده، وتفكيره وتقديراته، وقبل أن يبدأ في وضع سلم لأولوياتها، ويعمل على تصنيفها بناءً على أهميتها، تداهمه قضايا وأحداث جديدة، إما في الإطار نفسه المختص به، أو تتجاوز نفسه إلى مجتمعه وأهله وأقربائه.. أو قد تتجاوز بلده إلى العالم من حوله، ويجد نفسه مسئولاً عن التعامل معها، وإدخالها ضمن تفكيره المحدود، وحساباته الخاصة، وجهوده المحدودة..

هذا هو إنسان اليوم، الذي تقع عليه مسئوليات التغيير، والذي تقع على عاتقه مهام تحسين وضعه ووضع من هم في دائرة مسئولياته، والذي عليه أيضاً أن يطور تفكيره وقدراته ومعلوماته، حتى يقوم بواجباته.

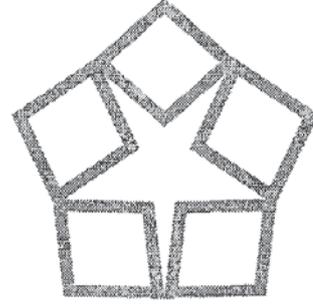
كيف يمكن أن ننظر إلى هذا الإنسان من المنظور الإلهي؟ وكيف يمكن أن نرسم له دوره وحياته وفق الحقيقة الأخروية المتصلة بالخلق والحكمة منه؟ وما الوصايا والدروس التي يمكن أن تطرح عليه للمساعدة في التعامل مع الواقع الضاغط الذي من حوله؟

ثم هل من رؤية لتحديد عوامل الضغط النفسي والسياسي والاجتماعي التي تتدفق على حياة الفرد اليوم، فتحيله أحياناً إلى إنسان شبه مشلول أو مختل في التفكير، ومضطرب في التصور؟ وما علاقة ذلك كله بطريقة تفكير الإنسان وفهمه للدين وطبيعة علاقته مع الله وتعامله مع من حوله من الناس على أسس أخلاقية راقية ومثل إنسانية عالية؟..

وقف في لحظة هادئة ضمن حياة مزحومة بالأفكار، ومليئة بالأحداث، وقائمة على مجموعة كبيرة من التناقضات التي تفرزها حياة الإبتلاء (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) صدق الله العظيم.

رئيس المركز





النظم السياسية السائدة في العالم



في قراءة لما قبلها من أحداث:



اليمن بعد الانتخابات الرئاسية

قراءة تحليلية لاستطلاع مركز الرائد حول:



- التجربة الديمقراطية
- دور الأحزاب وتأثير القبيلة
- إعادة ترشيح الرئيس صالح

لأول مرة تلتقي القوى السياسية الأبرز في الساحة اليمنية على مشروع وطني للإصلاح، تقدمه للناس والسلطة، وكان اتفاق حزبي الاشتراكي والإصلاح-أكبر الأحزاب السياسية في اليمن- على ذلك المشروع في إطار أحزاب اللقاء المشترك وهما يثلان اليسار واليمين؛ قد أعطى ذلك المشروع أبعاداً جديدة عن طبيعة التحولات الاستراتيجية في خطاب وتوجه الحزبين وتوجه العمل السياسي بشكل عام. ولعل أبرز المطالب التي دعى إليها ذلك المشروع هو تحويل النظام السياسي في اليمن من نظام رئاسي إلى نظام برلماني، والذي يستدعي تعديلات دستورية عبر استفتاء شعبي عام، إلى جانب كم كبير من المطالب الأخرى التي- إلى هذه اللحظة- لم تعط حقها من الدراسة والبحث والنقاش..

ولأهمية ذلك المشروع الذي تناول قضايا حيوية تمس حياة الأمة ومستقبلها، وأهمية دراسته ومناقشته ما جاء فيه بحيادية واستقلالية تامة، تبنى المركز الرائد للدراسات والبحوث مهمة دراسة ومناقشة المشروع، كون هذه المهمة واحدة من المهام والأهداف التي نسعى لترسيخها.

ويقدم المركز اليوم- للقارئ والمتابع- قراءته التحليلية لهذا المشروع وطبيعة المطالب التي وردت فيه، وإمكانية تطبيقها ومدى واقعيته، وإمكانية ومدى استجابة النظام لها، بالإضافة إلى استطلاع المنظور الشعبي حولها.

الحلقة الأولى

النظم السياسية السائدة في العالم

حسين حمود العزي

يعبر النظام السياسي كمصطلح عن تلك القواعد الأساسية التي يتعارف عليها سكان كل دولة والتي يحددون بموجبها شكل الدولة وطبيعة الحكم فيها والسلطات المخولة لأجهزتها الإدارية عند مباشرتها لاختصاصاتها وكذا سلطات الحاكم وعلاقته بهم ومدى حقوقهم والتزاماتهم قبل الدولة.

وتجدر الإشارة إلى أن النظم السياسية تعكس -في الغالب الأعم- مقدار ما أحرزته الشعوب والأمم من تقدم في ميادين الحياة الشاملة كثمرة من ثمار نضالها وكفاحها المتوارث والمستمر.

وبالتالي فإن أي نظام هو خاضع بالضرورة لسنن التطور بما يلبي طموحات وتطلعات الأمم والشعوب، ولسنا هنا في صدد البحث والتتبع لنضال الإنسان في الانتقال بنظامه السياسي من طور إلى طور ومن مرحلة إلى أخرى.. بقدر ما تحسن الإشارة إلى أن النظام السياسي كفكرة لم يعد يشير فحسب إلى شكل الدولة (وما إذا كانت بسيطة أو مركبة)، أو إلى نظام الحكم وما إذا كان ملكياً أو جمهورياً، ديمقراطياً أم دكتاتورياً، وإنما أصبح في العصر الحديث يمتد أيضاً إلى الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية واختصاصات الحاكم وعلاقته بالشعب ومسئوليته أيضاً.. وهو ما يعني -حسب ديفيد استن- النظر إلى النظام السياسي كجزء من نظام أشمل هو النظام الاجتماعي "باعتبار الأول محور الأخير وأكثر أجزائه تطوراً وتأثيراً في حياة أية دولة"^(١).

وبما أن لكل دولة من دول العالم ظروفها أو خصوصيتها المميزة لها عن غيرها من الدول فإنها تتجه ولاشك إلى الأخذ بالنظام السياسي الأكثر ملاءمة لهذه الخصوصية، وبطبيعة الحال فإنه يمكن معرفة النظام السياسي لدولة ما من خلال الدستور الخاص بها، فدساتير الدول هي وحدها المعنية بتحديد طبيعة النظم السياسية فيها ولعل هذا ما يجعل الدساتير دائماً وأبداً في قمة الهرم التشريعي كما هو معروف ومتعارف عليه في جميع شرائع الأرض على اختلافها.

بيد أن معظم دساتير العالم وبالرغم من تمايزها وتنوعها إلا أنها من حيث تحديدها لطبيعة النظام السياسي تندرج ضمن الثلاثة نماذج^(٢) السائدة والرئيسية في العالم وهي:

١- النظام الرئاسي.

٢- النظام البرلماني.

٣- النظام المجلسي أو ما يسمى بنظام الجمعية.

مع ملاحظة أن الأنظمة السياسية قد تختلف ضمن النموذج الواحد من دولة إلى أخرى^(٣)، ومع ذلك يبقى هذا الاختلاف نسبياً فهو في المحصلة النهائية لا يخرج هذه الدساتير عن الإطار العام لهذه النماذج السائدة إذ لا يكاد الخروج منها إلا إليها، ولعل من الأدلة على ذلك ما أصبح معروفاً باسم النظام المختلط.

إذن ولغايات الدراسة فإنه سيتم تناول هذه النماذج ضمن العناوين التالية:

النظام الرئاسي

أولاً: المفهوم والمرتكزات:

تصديق فقهاء القانون الدستوري لتعريف النظام الرئاسي كمفهوم، وذلك من خلال الاعتماد على إظهار خصيصة أو أكثر من خصائصه الأساسية كما

تطور النظم
السياسية يعكس
مقدار ما أحرزته
الشعوب والأمم
من تقدم

الأنظمة
السياسية قد
تختلف ضمن
النموذج الواحد
من دولة لأخرى

نلاحظ، فقد يعرفه البعض بأنه: "ذلك النظام الذي ترجح فيه كفة رئيس الدولة في ميزان السلطات"^(٤)، بينما يعرفه آخر، بأنه: "ذلك النظام الذي يقوم على محاولة الفصل التام بين السلطتين التشريعية والتنفيذية"^(٥).

ومهما يكن من تعدد التعاريف لهذا النظام، فإنها تكاد تلتقي عند جملة من المرتكزات الأساسية هي ما يقوم عليه النظام الرئاسي، ومن أهمها:

(١) وجود رئيس منتخب من قبل الشعب:

حيث لا يتصور وجود نظام رئاسي في دولة ما دون أن يكون رئيس هذه الدولة منتخبا من قبل الشعب، وسواء كان هذا الانتخاب مباشراً أو غير مباشر فإنه في النهاية نتاج إرادة الشعب، وهو ما يفسر القوة الفعلية لمركز الرئيس وفقا لهذا النظام مقارنة بنظيره وفقه النظم السياسية الأخرى.

فهو هنا يقف على قدم المساواة مع البرلمان كونه يستمد سلطته من الشعب هو الآخر، وبالتالي فإنه يعتبر ممثلاً للأمة ونائباً عنها في مباشرة رئاسة الدولة ورئاسة السلطة التنفيذية معا.

وعليه فإنه وبشيء من التأمل في طبيعة هذا الأساس كأحد المرتكزات النظرية للنظام الرئاسي يمكننا الوقوف على بعض الخصائص^(٦) المميزة لهذا النظام ومنها:

أ- أنه لا يصلح تطبيقه إلا في الأنظمة الجمهورية بمعنى أنه لا يتماشى مع الأنظمة الملكية.

ب- لا يوجد فصل بين منصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء كما هو الحال في النظام البرلماني.

ج- يقوم الرئيس باختيار الوزراء الذين يعاونونه في ممارسة المهام التنفيذية وهم لا يشكلون مجلس وزراء بل ولا يطلق من حيث الأصل على واحد منهم اسم وزير وإنما سكرتير أو معاون، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية^(٧).

د- يخضع الوزراء خضوعاً تاماً للرئيس وهم مسئولون أمامه فقط.

(٢) الفصل بين السلطات:

يقوم النظام الرئاسي على أساس محاولة الفصل التام بين السلطات، كأحد مرتكزات هذه النظرية، وهذا المبدأ قد يعود في تاريخه إلى فلاسفة الإغريق، فقد رأى أفلاطون ومن بعده أرسطو ثم لوك في أعقاب ثورة عام ١٦٨٨ م في مؤلفه (الحكومة المدنية) ضرورة توزيع وظائف الدولة وأعمالها المختلفة على هيئات متعددة تراقب بعضها بعضاً^(٨).

ومع ذلك فإن هذا المبدأ لا يكاد يذكر إلا ويذكر معه اسم الفقيه الفرنسي المعروف مونتسكيو، لما كان له من تأثير كبير في فقه الثورة الفرنسية وفي تذكير واضعي الدستور الأمريكي ودرساتير أخرى ثم لعنايته المتميزة بمبدأ الفصل بين السلطات، بحيث أصبح على مكانة مرموقة في مجال المبادئ والنظريات السياسية ضد الاستبداد حيث تتلخص الأسس التي أقام عليها مونتسكيو آراءه وأفكاره في أن الإنسان بطبيعته يميل إلى إساءة استعمال السلطة التي تعطى له ويسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة على حساب المصلحة العامة، ولا سبيل إلى توقي إساءة استعمال السلطة، إلا بمنع تركيزها وتجميعها في يد

يستمد رئيس
الدولة سلطته
من الشعب ويقوم
بتعيين الوزراء
كمعاونين له

يرى مونتسكيو
أن الإنسان
بطبيعته يميل
إلى إساءة
استعمال السلطة

واحدة وذلك من خلال توزيعها بين عدة هيئات متعددة بحيث تستطيع كل هيئة أن تلزم الهيئة الأخرى حدودها، وتحول دون استعمالها سلطاتها أو حسبما عبر عنها الفقيه "السلطة توقف السلطة".

وقد نوه هذا الفقيه إلى أن السلطة أو السيادة تتمثل في وظائف رئيسية للدولة يمكن أن تقسم تبعاً لها إلى ثلاث سلطات:

سلطة تسن القوانين (السلطة التشريعية)، وسلطة تنفذ هذه القوانين العامة (السلطة التنفيذية)، وسلطة تنفذ القانون المدني (السلطة القضائية)^(١٠).

وبمثل ما أوجد هذا المبدأ أنصاراً فقد جمع حوله خصوماً أيضاً أثاروا حوله الكثير من الشكوك، ومهما يكن من أمر هذه الشكوك^(١١) فإنها لا تقلل من أهمية هذا المبدأ، حيث يبقى الاستبداد متوقفاً بشكل أكبر إذا ما سمح للسلطة التي تضع القوانين بأن تتولى تنفيذها أو في حال سمح للسلطة التي تفصل في منازعات الأفراد أن تضع القوانين.

على أن هذا المبدأ لا يقصد به الفصل المطلق الذي لا يعترف بأي شكل من أشكال العلاقة بين السلطات، إذ لا معنى حينها لأن توقف السلطة السلطة، لا بل إن كل سلطة ستصبح مستبدة في ما تختص به من سلطات.

ولعل التاريخ يذكرنا بصور من الاستبداد وقمع الحريات التي عاشتها فرنسا بناء على هذا الفهم الخاطئ لمبدأ الفصل بين السلطات وذلك في أول دستور لها عقب الثورة الفرنسية الصادر في ٣ أيلول ١٧٩١ م^(١٢).

وعليه يصبح المدلول الحقيقي لهذا المبدأ هو أن تكون هذه السلطات متساوية ومتوازنة ومستقلة فلا تستطيع إحداها أن تستبد بالأخرى أو أن تستقل وحدها بالسلطة مع قيام شكل من أشكال التعاون والتضافر فيما بينها إلى جانب الرقابة المتبادلة، لكيما تستطيع كل منها أن توقف الأخرى في حالات التجاوز.

• ومن أهم صور الفصل بين السلطات وفق النظام الرئاسي ما يلي:
أ- يستقل الرئيس بتعيين الوزراء وإعفائهم من مناصبهم دون تدخل البرلمان.

ب- لا يحاسب الوزراء أمام البرلمان، ولا يجوز سحب الثقة منهم لأنهم مسئولون أمام رئيس الدولة فقط.

ج- لا تستطيع السلطة التنفيذية اقتراح القوانين أو التدخل في إعداد ميزانية الدولة.

د- لا يملك رئيس الدولة حق دعوة البرلمان للانعقاد العادي أو فض دورته أو حله، ولا يجوز حضور الوزراء جلسات البرلمان بصفتهم الوزارية.

هـ- لا يجوز الجمع بين عضوية الوزارة والبرلمان.

و- تستقل السلطة القضائية بممارسة وظائفها حيث يتم اختيار القضاة عن طريق الانتخاب ويتمتع القضاة بالحصانة وبنظام قانوني للمحاكم له ضمانات خاصة.

• أما صور التعاون بين السلطات، فتشمل حق الاعتراض التوقيفي لرئيس الجمهورية على مشروعات القوانين التي يقرها البرلمان، مقابل موافقة البرلمان على تعيين كبار الموظفين في الدولة بما فيهم السفراء، إضافة إلى موافقة البرلمان

الرقابة المتبادلة بين السلطات تمنع من استبداد كل سلطة بما تختص به

يتم اختيار القضاة عن طريق الانتخاب ويتمتعون بالحصانة

على الاتفاقات التي تبرمها الدولة مع غيرها من الدول كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية^(١٢).

ويضيف البعض ما يمكن تسميته بالمرونة الحزبية كمتطلب من متطلبات النظام الرئاسي مخافة أن يحدث نوع من الجمود أو عدم قدرة الحكومة على العمل باعتبار أن الحكومة الرئاسية لا تنبثق عن البرلمان وبالتالي قد لا تستند إلى أغلبية حزبية تضمن صوتها عند الحاجة.

وهو ما يعني تضرر الحكومة في حال وجدت كتلة معارضة تنتهج الصرامة الحزبية بشكل قاطع، أما في حالة المرونة الحزبية فإن النائب لا يلزم بالتصويت مع اتجاه حزبه.

وحسب هذا الرأي فإن ذلك ما يفسر المرونة الحزبية في الولايات المتحدة وعدم قيامها على قاعدة أيديولوجية أو اجتماعية معينة^(١٣).

بيد أن المرونة الحزبية - حسب اعتقادنا - لا ترتبط بنظام سياسي معين كأساس لوجودها أو عدمها، وإنما هي في الواقع سمة من سمات المسار المتقدم لمفهوم الحزبية على المستويين النظري والتطبيقي والتي قد تستند في هذه الحالة إلى عراقة التجربة الديمقراطية والحزبية في الولايات المتحدة وليس إلى طبيعة نظامها السياسي (الرئاسي).

ثانياً: مزايا وعيوب النظام الرئاسي:

يتمتع هذا النظام بجملة من المزايا والآثار الإيجابية التي لا تخفى، ومع ذلك فإنه ليس بمنأى عن العيوب أو السلبيات، شأنه في ذلك شأن أي نظام سياسي آخر يضعه البشر عادة^(١٤).

فما هي هذه المزايا وتلك العيوب؟.. ذلك ما سوف نعرضه من خلال المحورين التاليين:

أولاً: المزايا: - ويمكن إيجازها في النقاط التالية:

١- يوفر النظام الرئاسي فصلاً أكبر بين السلطات الثلاث^(١٥)، مما يجعله في مقدمة الأنظمة السياسية من حيث توفير الاستقرار السياسي لمرحلة انتخابية كاملة.

٢- يتيح النظام الرئاسي فرصة أفضل لعمل الحكومة واستقرارها بغض النظر عن الاتجاهات الحزبية المعارضة، وفي المقابل يوفر للبرلمان فرصة التفرغ لمهمته الأصلية وهي التشريع، ولا يعوقه في ذات الوقت عن بقية المهام الأخرى، فللبرلمان بموجب هذا النظام سلطة مهمة لعل أبرزها يتركز في المسائل المالية^(١٦).

٣- يتمتع الرئيس وفق هذا النظام بشعبية كبيرة وبحظ وافر من الهيبة والسمو باعتباره مرشح الأمة وهو ما يمكن الرئيس من القيام بدور محوري في تعزيز الوحدة الوطنية.

٤- يسمح هذا النظام أكثر من غيره بتجديد النخب السياسية وازدهار الفئات الاجتماعية ولاسيما مؤسسات المجتمع المدني لارتباط المنتخبين بناخبهم^(١٧).

الحكومة في النظام الرئاسي لا تنبثق عن البرلمان ولا تستند إلى أغلبية

يوفر النظام الرئاسي فصلاً أكبر بين السلطات الثلاث

٥- أنه نظام ناجح في البلدان ذات التجربة الوطنية المتكاملة والتي يكون فيها مستوى النضوج والوعي السياسيين عاليين^(١٨).

ثانياً: العيوب: ويمكن إيجازها فيما يلي:

يؤدي هذا النظام
إلى الاستبداد
إذا لم يتم
تحديد فترة
الرئاسة

١- يعاب على النظام الرئاسي استقلال رئيس الجمهورية عن البرلمان تأسيساً على أنه منتخب مباشرة من الشعب^(١٩)، وبالتالي عدم مسؤوليته عن الأخطاء الإدارية، وفي ظل عدم قدرة البرلمان على محاسبته واستجوابه فإن المزيد من الأخطاء هو نتاج هذه المعادلة، في حين كان يمكن لهذه الأخطاء أن تكون نادرة في ظل مبدأ المساءلة.

٢- أنه يلغي مبدأ مسؤولية الوزراء أمام المجلس النيابي، وهذا يتيح إمكانية التهرب من المسؤولية وصعوبة معرفة المسئول الحقيقي عن الخطأ^(٢٠).

٣- يذهب بعض الفقهاء الألمان أمثال (لاباند، وجيانك) ومعهم الفقيه الفرنسي العميد (ديجي) إلى القول بأن الفصل بين السلطات يؤدي إلى هدم وحدة الدولة^(٢١)، والمعنى أن هذا العيب يمس بشكل مباشر النظام الرئاسي باعتباره يقوم على مبدأ الفصل بين السلطات^(٢٢).

٤- قد يؤدي هذا النظام إلى الاستبداد والدكتاتورية إذ يجمع الرئيس بين السلطة والاستقلال، وإذا كانت تحديد مدة الرئاسة من أفضل الضمانات لعدم حدوث ذلك فإن بعض المفكرين وخصوصاً في معظم دول عالم الجنوب لا يرون أي فاعلية لمثل هذه الضمانات باعتبار أن هيمنة الرئيس سياسياً ودستورياً في الحياة الوطنية تفرض إعادة انتخابه لأكثر من مرة، وعلى النقيض من النصوص الدستورية والقانونية لا يتاح في العادة أي استجابة لمطالب الرأي العام التغييرية، بل لم يسجل أي تداول سلمي حقيقي للسلطة وبالذات فيما يتعلق بمؤسسة الرئاسة وإنما يتم ذلك إما عن طريق العنف المسلح أو الوفاة الطبيعية^(٢٣).

ثالثاً: الدول الآخذة بالنظام الرئاسي

ينبغي أولاً ملاحظة أن النظام الرئاسي بنمطه المثالي، أي بشروطه ومرتكزاته النظرية الكاملة التي طرقتها الدراسة قبل قليل، لا يمكن العثور عليه بسهولة في دساتير الدول المعاصرة، وحتى بالنسبة للدستور الأمريكي، فعلى الرغم من كونه الحاضن الأم لهذا النظام إلا أنه من الصعب عند توصيفه -الزيادة على كونه النموذج الأكثر تجسيدا للنظام الرئاسي-

بيد أن ذلك لا يعني انقراض نظرية النظام الرئاسي أو التحول عنها بقدر ما أردنا التنبيه إلى أن هذه النظرية قد استجابت لشيء من التجديد والتطوير بحيث أصبح تعدد النمط الدستوري للنظام الرئاسي أمراً ممكناً..

وفي هذا الصدد يشير بعض الأكاديميين إلى أن تطور النمط الدستوري لنظام الحكم لا يعكس في المقام الأول تفصيلات ثقافية، وإنما اعتبارات مرتبطة بتفاعلات ونمط العلاقة بين الدولة والمجتمع وهو ما يعني إمكانية التحول من شكل رئاسي ما إلى شكل آخر طالما وأن محددات هذه العلاقة مازالت في

التحول من شكل
رئاسي لآخر
مرتبط
بتفاعلات
العلاقة بين
الدولة والمجتمع

الأغلب الأعم كما هي مستمرة عبر الزمن^(٢٤). وهو ما يعني إمكانية اختلاف نمط النظام الرئاسي من دولة إلى أخرى وعلى هذا الأساس اعتبر البعض إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية بأن دولاً مثل فرنسا، وروسيا، والبرازيل، وشيلي، وأندونيسيا، قد أخذت بالنظام الرئاسي^(٢٥).

وهؤلاء في الواقع قد نظروا إلى مركز رئيس الدولة وإلى الصلاحيات المعطاة له كمعيار وحيد، في توصيفهم للنظم السياسية في هذه الدول. ووفق هذه النظرة يمكن القول أيضاً بأن كل من جمهورية مصر العربية، والجزائر، وسوريا، وتونس، والسودان، وعراق ما قبل الاحتلال الأمريكي تأخذ بالنظام الرئاسي.. ومؤخراً أقر المجلس التشريعي الفلسطيني النظام الرئاسي كنظام سياسي للسلطة الفلسطينية^(٢٦).

النظام البرلماني

أولاً: المفهوم والمرتكزات:

يعتبر النظام البرلماني أحد النماذج الرئيسية لأنظمة الحكم في العالم، هو يشير كمفهوم إلى ذلك النظام، الذي يقع في منطقة الوسط ما بين النظام الرئاسي الذي يقوم على أساس رجحان كفة السلطة التنفيذية ورئيسها الذي هو في نفس الوقت رئيس الجمهورية كما رأينا، وبين نظام الجمعية الذي يقوم على أساس رجحان كفة الهيئة النيابية كما سنرى. وعليه فهو نظام يهدف - نظرياً على الأقل - إلى كفالة التوازن والتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية فلا ترجح كفة على أخرى، وهذا ما جعل البعض يرى فيه النظام الذي يتحقق فيه - بوضوح - توازن وتعاون السلطات^(٢٧). وبالافتاق بين كل الحكومات البرلمانية فإن النظام البرلماني يقوم على مرتكزين أساسيين هما:

ثانية الجهاز التنفيذي:

وتعني هذه الثنائية الفصل بين مناصبي رئيس الدولة ورئيس الوزراء^(٢٨)، بحيث يصبح رئيس الدولة في هذا النظام على غرار ملكة بريطانيا أو رئيس دولة إسرائيل، لا يملك سلطة حقيقية أو دوراً فعلياً في مباشرة الحكم فهو وبحكم سلطاته الدستورية الضيقة يسود ولا يحكم بمعنى أن دوره شكلي أو تشريفي لا أكثر.

وقد يتمثل هذا الدور في أمور ليست ذات ثقل أو أثر على السياسة العامة للدولة من قبيل استقبال رؤساء الدول والسفراء الأجانب أو قبول استقالة الحكومة إذا هي رأت تقديم استقالتها، وبالتالي فإن رئيس الدولة وفق النظام البرلماني لا يخضع لأي نوع من أنواع المسؤولية عدا المسؤولية الجنائية في حال كان النظام جمهورياً، أما إذا كان النظام ملكياً فإن رئيس الدولة وهو الملك لا يسأل بأي حال من الأحوال.

مركز رئيس
الدولة وصلاحياته
على الواقع معيار
وحيد لتحديد
نوع النظام

رئيس الدولة
وفق النظام
البرلماني
يسود ولا يحكم،
ودوره تشريفي

مسئولية رئيس وأعضاء الحكومة أمام البرلمان تضامنية وفردية

أما على الجانب الآخر من هذه الثنائية فيقف رئيس الوزراء أو رئيس الحكومة - كحاكم فعلي يملك وفق النظام البرلماني صلاحيات دستورية حقيقية، فهو يختص بتشكيل الحكومة ولا يشاركه رئيس الدولة في تعيين الوزراء، الذين يعينهم في العادة من أعضاء حزبه الموجود في البرلمان طبقاً لكونه زعيم الأغلبية البرلمانية، أما إذا كان حزبه لا يحظى بالأغلبية المطلوبة في البرلمان فإنه في هذه الحالة يصبح مضطراً لتشكيل حكومة ائتلافية مكونة من عدة أحزاب حتى تستطيع حكومته الحصول على ثقة البرلمان^(٢٩).

وإذا كان رئيس الدولة وفق هذا النظام غير مسئول أمام البرلمان فإن رئيس الحكومة وأعضاءها الوزراء مسئولون بصفة تضامنية وفردية^(٣٠)، وتعد المسئولية السياسية للوزراء أو للحكومة بشكل عام أمام البرلمان الركن الأساسي أو حجر الزاوية بالنسبة للنظام البرلماني، وبدونها يفقد هذا النظام جوهره ومضمونه^(٣١).

ومن كل ما سبق يمكننا استنباط خصائص النظام البرلماني وفقاً لهذا المركز وهو (ثنائية السلطة التنفيذية)، حيث يصبح من خصائص هذا النظام على عكس النظام الرئاسي تماماً، ما يلي:

- ١- النظام البرلماني يقبل التطبيق في الدول الملكية والجمهورية.
- ٢- رئيس الدولة في النظام البرلماني يسود ولا يحكم وهو غير مسئول أمام البرلمان.
- ٣- رئيس الوزراء هو من يمسك بزمام الأمور.
- ٤- رئيس الحكومة وأعضاء الحكومة مسئولون أمام البرلمان.
- ٥- يحق للوزراء بحكم مسئوليتهم هذه حضور جلسات البرلمان بصفتهم الوزارية والدفاع عن الحكومة.
- ٦- يجوز الجمع بين عضوية الحكومة والبرلمان.

التوازن والتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية :

قلنا فيما سبق أن النظام البرلماني يقع في منطقة الوسط بين النظامين الرئاسي والمجلسي (نظام الجمعية)، من حيث العلاقة بين السلطتين: التشريعية والتنفيذية.

وبالتالي كان لزاماً على نظرية النظام البرلماني أن تقدم ما يضمن عدم رجحان كفة السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية أو العكس، وأن تؤسس في ذات الوقت لعلاقة تعاونية فيما بينهما، وهو ما حاولت هذه النظرية القيام به.

فمن أجل تحقيق التوازن بين السلطتين التشريعية (البرلمان) والتنفيذية (الحكومة)، نجد أن نظرية النظام البرلماني قد أعطت لكل منهما سلاحاً يكفي في قوته ومفعولة سلاح الأخرى.

أعطت الحكومة حق مباشرة سلطة الحكم والتنفيذ، وفي مقابل ذلك أعطت البرلمان حق مباشرة سلطة التشريع. وهي حينما أخضعت الحكومة للمسئولية السياسية أمام البرلمان والتي تعني:

للحكومة حق مباشرة الحكم والتنفيذ، وللبرلمان حق التشريع

- حق البرلمان في مناقشة الحكومة.
- توجيه الأسئلة إليها.
- استجوابها
- حجب الثقة عنها أو سحبها منها.

كانت قد أعطت الحكومة في مقابل ذلك حقاً موازياً يتمثل في:

- دعوة البرلمان للانعقاد.
- فض دورات انعقاده.
- حضور جلساته بالصفة الرسمية أو الوزارية، وشرح سياسة الحكومة والدفاع عنها.
- حل البرلمان والدعوة إلى انتخابات جديدة.

فعندما يقوم البرلمان بسحب الثقة من الحكومة تستطيع هذه الأخيرة حل البرلمان، وهذا يعني ضرورة الاحتكام للشعب مما يجعل من واجب الحكومة في هذه الحالة الدعوة إلى انتخابات جديدة، فإما أن يحكم الشعب لصالح الحكومة من خلال انتخاب نواب يؤيدونها، وإما أن يحكم لصالح البرلمان بإعادة انتخاب أعضائه السابقين أو أعضاء آخرين يعارضون الحكومة.

وفيما يتعلق بتحقيق التعاون بين السلطتين، فإن النظام البرلماني قد أسس لعلاقة تعاونية بينهما، هذه العلاقة تعني إشراك السلطة التنفيذية في بعض الأعمال التي يفترض أن تكون في إطار الأعمال البرلمانية، والعكس بالعكس صحيح. ولعل من أهم مظاهر هذه العلاقة التعاونية ما يلي:

- للسلطة التنفيذية حق اقتراح القوانين وحق المصادقة عليها.
- وللسلطة التشريعية بالمقابل حق المراقبة لعمل الحكومة، والتصديق على الاتفاقيات التي تبرمها الحكومة (أو السلطة التنفيذية).

ثانياً: المزايا والعيوب:

أ- المزايا: يمتاز النظام البرلماني بمجموعة من المزايا، ومن أهمها مايلي:

١- يحقق هذا النظام تفاعلاً حقيقياً بين السلطات وتعتبر كل منها مكملة للأخرى، ومتوازنة معها.

- ٢- أنه يرسخ الديمقراطية ويحول دون الدكتاتورية والاستبداد.
- ٣- يوفر بحكم مبدأ المسؤولية السياسية إمكانية معرفة المسئول الحقيقي عن الخطأ، مما يعني استحالة الهروب أو التهرب من المسؤولية السياسية.
- ٤- يقرر البعض بأنه يضمن تمثيل الأقليات في البرلمان وبالتالي تمكنها من تشكيل معارضة داخل البرلمان، بيد أن في هذا خلط واضح بين نظام المؤسسات ونظام الاقتراع^(٣٢).

ب- عيوب النظام البرلماني:

إن هذا النظام وكأي نظام سياسي آخر ليس في منأى عن العيوب أو سهام النقد، فقد وصمه بعض القانونيين والمتخصصين بجملة من العيوب أبرزها مايلي:

للبرلمان حجب الثقة عن الحكومة وتستطيع الأخيرة حل البرلمان

يحول النظام البرلماني دون الدكتاتورية ويوفر إمكانية معرفة المسئول عن الخطأ

سيطرة حكومة الأغلبية على البرلمان إحدى صور تكريس (الملكيات الجمهورية)

١- أن هذا النظام قد فقد التوازن الذي اشتهر به بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وذلك منذ أواسط القرن الماضي، بسبب ظهور الأحزاب السياسية الكبيرة والحديثة، أي المنظمة جيداً، إذ صار الانتخاب يدور أساساً على أساس البرامج والشخصيات المرتبطة بهذا الحزب أو ذاك. ولكون رئيس الوزراء هو رئيس الحزب الفائز بالأغلبية البرلمانية فإنه أصبح بالتالي صاحب الكلمة الأولى في البرلمان، بفضل تأثيره الكبير على تصويت أعضاء حزبه، ولا يختلف الحال في حالة الحكومة الائتلافية حيث يؤدي القادة السياسيون نفس الدور مع أحزابهم لتكريس سيطرة الحكومة على البرلمان^(٣٣)، وقد ألف الفقيه الدستوري الفرنسي الشهير موريس دو فرجيه كتاباً عن الأنظمة البرلمانية أطلق عليه اسم (الملكيات الجمهورية).

٢- من الصعب وفق هذا النظام الحصول على تأييد قوي لعمل الحكومة في حال وجدت اتجاهات حزبية متعارضة ومتضاربة، وبالتالي فهو لا يوفر الاستقرار المطلوب لعمل الحكومة وبالذات في دول عالم الجنوب^(٣٤).

٣- يعتبر النظام البرلماني نظاماً غير فعال في الدول الناشئة ديمقراطياً إذ يحتاج إلى قدر كبير من الوعي السياسي ونضوج التجربة الحزبية، كما أنه لا يتناسب مع البلدان التي لا تزال بحاجة إلى البناء وتقديم الخدمات، والتي تحتاج إلى قرارات حكومية وتشريعية، حيث لا تتوفر هذه الخاصية في الحكومة البرلمانية.

٤- أن النظام البرلماني مشوش ومعقد نسبياً مقارنة بالنظام الرئاسي الذي يبدو بسيطاً، حيث يخضع تحديد رئيس الوزراء وتشكيل الحكومة بموجب النظام البرلماني إلى مساومات ومفاوضات تفضي في العادة إلى تغليب الولاءات الضيقة، وبالتالي فإن إمكانية تجدد النخب السياسية أو الارتقاء إلى المستويات العليا تبدو ضئيلة في ظل هذا النظام.

ثالثاً: الدول الآخذة بالنظام البرلماني:

تتصدر إنجلترا، قائمة الدول التي تأخذ بالنظام البرلماني كنظام سياسي لها، حيث نشأ فيها هذا النظام ابتداءً، وبقي يتدرج ويتطور فيها أيضاً خلال عدة قرون، ولم تكن ثمة خطة معينة تحكم هذه النشأة وهذا التطور، وإنما كان ذلك يتم بحكم الظروف والعوامل السياسية والمالية والاجتماعية في إنجلترا^(٣٥).

بيد أن قواعد هذا النظام لم تكتمل إلا في أوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٢٠م وذلك حينما أصيب الملك جورج الثالث بالجنون، وانتقلت السلطة الفعلية إلى وزرائه، ولا يزال النظام البرلماني سائداً في إنجلترا، وفي كثير من الدول مثل بلجيكا والسويد والنرويج، وكذلك الأمر بالنسبة لمصر حيث أخذت بهذا النظام في دستور سنة ١٩٢٣م وظلت متمسكة بالنظام البرلماني حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢م^(٣٦).

وكذلك أخذت فرنسا بالنظام البرلماني في دستورها طوال عمر الجمهورية الفرنسية الرابعة، أي منذ العام ١٩٤٥م وحتى صدور دستور ديجي عام

تتصدر إنجلترا قائمة الدول التي تأخذ بالنظام البرلماني

١٩٥٨م الذي استبدله بالنظام الرئاسي^(٣٧).
كذلك فإن الأنظمة السياسية لكل من: هولندا وإيطاليا وإسرائيل وماليزيا
وألمانيا واليابان وتركيا وأسبانيا هي نظم برلمانية، ولعل هناك توجه في عراق ما
بعد صدام للأخذ بالنظام البرلماني.

النظام المجلسي

أما بالنسبة لنظام الجمعية النيابية أو ما يعرف بالنظام المجلسي، فهو نظام
يظهر فيه رجحان كفة السلطة التشريعية بشكل واضح وجلي، حيث تتركز بيد
البرلمان صلاحيات المشرع والمنفذ في آن.

كونه يعهد بمهام الحكومة (السلطة التنفيذية) إلى لجنة منبثقة عنه، وتشير
الفلسفة التي تقف وراء هذا النوع من الأنظمة إلى أن السلطة التشريعية -مثلة
بالبرلمان- هي التي تمتلك السيادة باعتبارها منتخبة من الشعب، وبالتالي فإن
لها وحدها مباشرة جميع المهام التي يقتضيها حكم الشعب بواسطة الشعب
ولمصلحة الشعب، فالسيادة وحدة واحدة لا تتجزأ.

مما يعني خضوع السلطة التنفيذية وتبعيتها بشكل كلي للسلطة المنتخبة.
ويرى أنصار هذا التوجه بأن النظام المجلسي هو الأنسب من حيث تمثيل إرادة
الشعب على مستوى الحكومة والبرلمان، ومن حيث أنه يسند السلطة التنفيذية
إلى لجنة نيابية، وليس إلى شخص واحد قد يتفرد بالسلطة أو يستحوذ عليها،
كما في بقية الأنظمة.

على أن هناك الكثير من المآخذ على هذا النوع من الأنظمة ومنها أنه يحوّل
البرلمان إلى سلطة تنفيذية مما يؤثر سلباً على وظيفته التشريعية التي قد تتآكل
وبشكل يفضي في النهاية إلى معنى من معاني الدكتاتورية المحظورة.

وتجدر الإشارة إلى أن النظام المجلسي لم يطبق كثيراً، فهو طبق لأول مرة
في فرنسا عام ١٧٩٢م واستمر هذا الوضع حتى عام ١٧٩٥م، ثم عادت
للأخذ به في عام ١٨٤٨م ولكنه لم يدم طويلاً، وفي دساتير ما بعد الحرب
العالمية الأولى ظهر هذا النظام في دستور النمسا عام ١٩٢٠م، وفي بروسيا،
وباراقيا الألمانية، وتركيا عام ١٩٢٤م.

وفي وقتنا الحاضر لم يعد يأخذ بهذا النظام على حد علمي سوى دولة واحدة
هي سويسرا^(٣٨).

وأخيراً هناك نظم سياسية مختلطة وهي نظم تجمع بين أكثر من سمة من
سمات النظم السياسية التي طرفناها قبل قليل، ولا تتقيد بالتقسيم الكلاسيكي
الجامد للنظم السياسية.

الهوامش:

(١) من موقع دراسات المستقبل على شبكة الانترنت www.mcsr.net/activities/005.html.

(٢) د. جهاد عودة، نحو تطوير النظام الرئاسي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية،
انترنت www.ahram.org.eg/acp5s/ahram/2001/1/1/week457.htm.

(٣) يضيف بعض الكتاب نموذج النظام السوفيتي سابقاً، وهو نظام اقتصادي تولد عنه

تأخذ هولندا
وألمانيا واليابان
وماليزيا وتركيا
وأسبانيا
إيطاليا بالنظام
البرلماني

في النظام
المجلسي يقوم
البرلمان بمباشرة
جميع المهام التي
يقتضيها حكم
الشعب

نظام حكومة الحزب الواحد الشيوعي، الذي يهيمن على كافة سلطات الدولة والتي أخذت به بعض دول أوروبا الوسطى مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والدول البلقانية مثل رومانيا والمجر وبلغاريا ويوغسلافيا سابقا، وألمانيا الشرقية وبعض الدول الآسيوية كالصين الشعبية.

أنظر: أبو اليزيد المتيت، النظم السياسية والحريات العامة، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) أنظر: محمد كامل ليله، النظم السياسية، الدول والحكومات، دار الفكر العربي، القاهرة،

١٩٦٨م، ص ٥٦٨.

(٥) د. سعد عصفور، المبادئ الأساسية في القانون الدستوري والنظم السياسية، منشأة

المعارف، الإسكندرية، ص ١٦٣.

(٦) أنظر: ديندار شيخاني، معلومات أساسية عن الدستور، من مقالة له على شبكة

الانترنت www.dasin.org/makalaat/2504,2005/5.htm، وأنظر أيضاً: ثروة بدوي،

النظم السياسية، دار النهضة العربية، ١٩٧٥، القاهرة، ص ٣٤١.

(٧) ليس في نصوص الدستور الأمريكي أي ذكر لاسم الوزارة Cabinet، وترجع نشأة

الوزارة إلى عهد الرئيس جورج واشنطن، للمزيد انظر: د. سعد عصفور، المبادئ الأساسية في

القانون الدستوري والنظم السياسية، مرجع سابق، ص ٢٢٦-٢٢٩.

(٨) أنظر: د. سعيد عصفور، مرجع سابق، ص ١٥٩، بتصرف.

(٩) د. سعد عصفور، مرجع سابق، ص ١٦٠، بتصرف.

(١٠) أنظر: د. سعيد عصفور، مرجع سابق، ص ١٦١.

(١١) ثروت بدوي، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

(١٢) ديندار شيخاني، مرجع سابق، www.dasin.org.

(١٣) عمر فاخوري، الأحزاب السياسية ودورها في الحياة الديمقراطية، مجلة المستقبل

العربي، العدد ٣٠٢، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٩٨، بتصرف.

(١٤) وهذا أمر طبيعي لأن الكمال المطلق لله عز وجل وحده.

(١٥) أنظر: د. محمد سعيد الشكرجي، من مقال له بعنوان: النظام الرئاسي، نظام الاستقرار

والفصل بين السلطات، ٢٠٠٥م، موقع الجالية العراقية في سويسرا.

(١٦) نادية المختار، ٢٠٠١، ص ٣٠.

(١٧) د. محمد سعيد الشكرجي، من مقال له بعنوان: لا رئاسة فاعلة بدون انتخاب

الشعب، مرجع سابق.

(١٨) د. ثناء فؤاد عبادلله، ١٩٩٧م، ص ٢٥٦.

(١٩) د. أبو اليزيد علي المتيت، النظم السياسية والحريات العامة، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢٠) قد لا ينهض هذا العيب في مواجهة النظام الرئاسي إذا ما عرفنا أنهم مسئولون

بموجب هذا النظام فردياً وجماعياً أمام رئيس الدولة.

(٢١) أنظر: الشكل المستقبلي للعراق، مرجع سابق.

(٢٢) قد لا ينهض هذا القول كعيب في مواجهة النظام الرئاسي إذا ما عرفنا أن مبدأ

الفصل بين السلطات لا يعني أكثر من الاستقلال اللازم للنهوض بوظائف الدولة وحينما

تقوم الدولة بوظائفها يكون هذا المبدأ قد عزز من وحدتها وليس العكس.

(٢٣) أنظر: سعد الدين إبراهيم وآخرون، أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٦٣.

(٢٤) د. جهاد عودة، مقال بعنوان: نحو تطوير النظام الرئاسي، مركز الدراسات السياسية

والاستراتيجية، www.alahram.org/acpss/ahram/2001/1/1 بتصرف.

(٢٥) إذا أخذنا بعين الاعتبار معيار المسؤولية السياسية للوزراء أمام البرلمان وعرفنا بأن

هذا المعيار يشكل حجر الزاوية للنظام البرلماني فإنه يصعب القول بأن هذه الدول قد أخذت

بالنظام الرئاسي، ولعل أصدق وصف لهذه الأنظمة هو النظام المختلط على اعتبار التوفيق بين

الصلاحيات الفعلية لرئيس الدولة ومسئولية الوزراء أمام البرلمان.

(٢٦) أنظر: غازي الخليلي، إصلاح النظام السياسي الضرورة والمحاذير. شبكة الانترنت

للإعلام العربي، www.amin.org/views/ghzi-Khali/i/2002/sep01.htmls.

(٢٧) أنظر: د. إسماعيل مرزه، القانون الدستوري، دراسة مقارنة للدستور الليبي ودساتير

لم يعد يأخذ

بالنظام المجلسي

سوى دولة

واحدة هي

سويسرا

دستور العراق

الجديد يأخذ

بالنظام البرلماني

على عكس

الدستور السابق

- الدول العربية الأخرى، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، ١٩٦٩م، ص ٢٧٥.
- (٢٨) ديندار شيخان، معلومات أساسية عن الدستور، الجريدة الإلكترونية، DASIN.ORG، ٢٠٠٥.
- (٢٩) ديندار شيخاني، المرجع السابق.
- (٣٠) تعني المسؤولية التضامنية، مسئولية الحكومة بمجموعها عن السياسة العامة للدولة أمام البرلمان، أما المسؤولية الفردية فيقصد بها مسئولية كل وزير على حدة أمام البرلمان عن سير العمل في وزارته.
- (٣١) أنظر: عبدالغني بسيوني، النظم السياسية، دراسة مقارنة لنظرية الدولة والحكومة، الدار الجامعية، ١٩٩١م، الاسكندرية، ص ٢٩٩. وديندار شيخاني، معلومات أساسية عن الدستور، الجريدة الإلكترونية، مرجع سابق.
- (٣٢) أنظر: د. محمد سعيد السكرجي، مقال بعنوان النظام الرئاسي نظام الاستقرار والفصل بين السلطات، من موقع الجالية العراقية في سويسرا، www.Iraqi.ch.
- (٣٣) أنظر: د. محمد سعيد السكرجي، المرجع السابق.
- (٣٤) رياض عزيز هادي، المشكلات السياسية في العالم الثالث، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م، ص ٢٣١.
- (٣٥) د. سعيد عصفور، المبادئ الأساسية في القانون الدستوري والنظم السياسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ١٧٩.
- (٣٦) أبو اليزيد علي المقيت، مرجع سابق، ص.
- (٣٧) أنظر: د. محمد سعيد السكرجي، لا رئاسة فاعلة بدون انتخاب الشعب، www.irqparliament.com/art12d/sahibsdnec14.htm.
- (٣٨) للمزيد حول النظام المجلسي أنظر: د. خالد السراي، almudapaper.com، وفلاح إسماعيل حاجم، صحيفة الحوار المتمدن، العدد ١٤٧٢.

النظام الرئاسي (بنمطه المثالي) لا يمكن العثور عليه بسهولة في دساتير الدول المعاصرة

حبا ووفاءً لنبينا محمد ﷺ عليه الصلاة والسلام

لوازم

للإنتاج والتوزيع الفني

تقدم لكم

في مجموعة متميزة
بأروع وأحدث الألحان

الأناشيد
المصليزية

تستمعون إليها
بكلماتها وألحانها
الأصلية
وأدائها المتميز.

متوفرة حالياً على أشرطة كاسيت
وعلى أقراص MP3 - DVD - CD

جميع الحقوق محفوظة لدى : لوازم للإنتاج والتوزيع الفني - صنعاً ٧٧٧٦٦٠٠



في قراءة لما قبلها من أحداث:

اليمن بعد الانتخابات الرئاسية

اعداد / قسم التحرير

أربعة أحداث حصلت يمكن استقراء المستقبل القريب على ضوءها؛ العفو العام المتعلق بأحداث صعدة، وإعلان الرئيس علي عبدالله صالح عدم ترشحه للرئاسة، واتفاق أحزاب المعارضة (اللقاء المشترك) على مشروع وطني للإصلاح، والإعلان عن تأهيل اليمن للانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي.

جميعها من قريب أو بعيد تتعلق بالانتخابات الرئاسية القادمة، ومستقبل النظام السياسي في اليمن خلال الفترة الرئاسية الأخيرة للرئيس صالح، وبقراءة مختزلة جداً لتلك الأحداث في محاولة لرسم ذلك المستقبل القريب سنكون قد حققنا بعض الوعي المطلوب..

(١) العفو العام وإغلاق ملف صعدة:

أعلن الرئيس علي عبدالله صالح العفو العام على كل من له علاقة بأحداث صعدة بعد مضي أكثر من عامين على بداية الحرب التي شهدتها محافظة صعدة بين القوات الحكومية ومن يعرفون باسم أصحاب الشعار نسبة إلى الشعار الذي التزموا بتريده في المساجد، والذين تم تسميتهم خطأ بالشباب المؤمن، باعتبارهم أعضاء منتدى الشباب المؤمن الثقافي الذي تم تأسيسه في صعدة في بداية التسعينات كعمل ثقافي لا علاقة له بالأحزاب السياسية من قريب أو بعيد.

بدأت الحرب في صعدة على أصحاب الشعار ومن أول يوم لتبدأ ملاحقات واسعة على كل من كان له علاقة بتريده الشعار، دون أن تحصر نفسها على منطقة مران التي كان يعيش فيها حسين بدرالدين الحوثي.

ومع اتساع الملاحقات اتسعت الجبهة وسجلت من أول يوم سقوط عدد من القتلى مما جعل إيقاف الحرب بعد ذلك بعيد المنال.

وفي نفس الوقت كبرت مساحة المستهدفين من وراء الحرب في الإعلام الرسمي لتشمل الهاشميين في اليمن وأتباع المذهب الزيدي، الأمر الذي اعتبر فيما بعد من أخطاء الحرب، وتمت

معالجته، ولكن بعد أن دخلت الحرب إلى شريحة واسعة من المجتمع اليمني، وألقت بظلالها النفسية القائمة عليهم، ومع استمرار الضحايا من الجيش وسمود المقاتلين من أهالي منطقة مران أو قبيلة همدان الذين يقاتلون في أرضهم ومن داخل منازلهم، ومن حولهم أموالهم ونسائهم وأولادهم صار من الصعب حسم المعركة عسكرياً، كما كان يتمنى بعض قادة الجيش المسؤولين عن حسمها.

وبدأت أحداث صعدة تأخذ أبعاداً جديدة وتدخل فيها أطراف متعددة مستغلة أجواء الحرب، لتجعل من الحرب حالة اجتماعية وثقافية وسياسية تستهدف المذهب الزيدي وتواجهه في المساجد والمراكز الصيفية والمعاهد العلمية لتصل إلى الوظائف والوجود السياسي لشريحة الهاشميين.. مستغلة تلك الأطراف أدوات الدولة ومؤسساتها ودرجة استنفارها العالية في مواجهة أنصار الحوثيين لتمضي في تحقيق أهدافها الخاصة تحت تلك المظلة الملتهبة، وكانت تلك القوى تأمل استمرار الحرب حتى ما بعد انتخابات الرئاسة المتوقع إقامتها في ٢٣ سبتمبر من عام ٢٠٠٦م..

إلا أن الرئيس علي عبدالله صالح وفي إحدى خطبه العامة فاجأ الجميع كعادته بإعلانه العفو العام في أحداث صعدة، وبدلاً من الإسراع في تنفيذ مقتضيات العفو العام بدأت التفسيرات القانونية، والخطوات الثقيلة تأخذ مكانها لتعرقل عملية التنفيذ وبدى القرار في اليمن وكأنه في يد أكثر من شخصية، وكان هناك أكثر من قيادة تتحكم به، وإذا بالأمر تزداد سوءاً وأحداث صعدة تزداد اشتعالاً، والاستهداف الفكري يزداد عمقاً وحلول التيارات السلفية والإصلاحية في أماكن تواجد ونشاط أتباع المذهب الزيدي تزداد تجذراً وحضوراً، وتصبح قضية الممارسات العنصرية والمذهبية، والانتهاكات الإنسانية التي تمارس تحت علم مؤسسات الدولة أو بتوظيفها محل نقاش وجدل في خارج اليمن وفي المؤسسات الدولية وعلى ألسنة مسؤولي الحكومات، ومن أوساط المسلمين الشيعة ومرجعياتهم.

وتدخل حرب صعدة أعقد مراحلها، ويضم المقاتلون من أصحاب الشعار بين صفوفهم مزيجاً من أصحاب الأهداف المختلفة الذين وجدوا في حركة الحوثيين متنفساً لتحقيق أهدافهم ومصالحهم، وهنا بدأ الخوف من أن تأخذ الحرب أبعاداً جديدة وتدخل فيها أطراف غير معروفة وتضيق المسؤولية في تحديد مسارها أو معرفة نتائجها.

ويأتي قرار رئيس الجمهورية بتغيير محافظ صعدة وتعيين محافظ جديد معروف بحزمه وقوته، والتزامه بالنظم والقوانين، لتبدأ المرحلة الجادة والقرار الحاسم في إيقاف الحرب وتداعياتها، ولتنتهي حالة التصعيد لتعود من جديد محافظة صعدة إلى حياة السلام والاستقرار بعد أن أمضت ثلاث سنوات من القهر والحرب، وتعود من جديد قناعات الناس والمجتمع اليمني أن الرئيس علي عبدالله صالح هو صاحب القرار الأول والأخير، وإن أبدت الأيام أحياناً قناعات أخرى تناقض هذه الحقيقة.

ويبقى السؤال ملحاً وضرورياً هل يستطيع الرئيس علي عبدالله صالح، تجاوز الحرب الفكرية والسياسية التي استهدفت شريحة واسعة قبل موعد الانتخابات الرئاسية، وإعادة الأوضاع كما كانت عليه قبل الحرب؟

**بدأت الأحداث
تأخذ أبعاداً
جديدة بعد
تدخل أطراف
عديدة مستغلة
أجواء الحرب**

**قرار الرئيس
بتغيير المحافظ
كان بداية
لمرحلة جادة
نحو إيقاف
الحرب**

(٢) عدم ترشح الرئيس:

من بعد الانتخابات الرئاسية الأولى المباشرة في عام ١٩٩٩ م والواقع السياسي في اليمن يعيش مخاضاً عسيراً صعب عليه خلالها إخراج مشروعه السياسي إلى الحياة السياسية اليمنية، الذي يمكن أن يؤسس على وجوده استقراراً سياسياً ينشئ دولة حديثة.

فالتناقضات التي أفرزتها حرب عام ١٩٩٤ م والحرب الباردة التي قامت بين المؤتمر الشعبي العام، الحزب الحاكم، وبين التجمع اليمني للإصلاح، شريك تلك الحرب، وتداعيات استبعاد الحزب الاشتراكي من السلطة، وهو شريك الوحدة، ومشروعية الوحدة التي على أساسها نشأت الجمهورية اليمنية وعليها يجب أن تضبط حركة الدولة ومسار السلطة من الديمقراطية والتعددية السياسية، وبالتالي عدم الرجوع إلى مشروعية الثورة في لحظات التعامل مع أطراف المجتمع اليمني.

هذا الواقع -الذي ابتعدت فيه كل الأطراف ونتيجة لتداعيات تلك التناقضات عن الالتفاف حول مشروع وطني واحد ينطلق من مشروعية دولة الوحدة- قد أسس لنظريات ومشاريع عديدة لدى فرقاء الساحة السياسية وشركائها، انطلقت جميعها من الواقع السياسي الذي أفرزته تلك الأحداث ونتائجها. الأمر جعل اليمن تعيش مرحلة سياسية كانت قد تخطتها بعد الإقرار على دستور الوحدة من قبل الشعب اليمني وقيام الجمهورية اليمنية.

ولأن المؤتمر الشعبي العام، الحزب الحاكم، وقيادته السياسية قد عملت من بعد عام ١٩٩٩ م على إخضاع الواقع السياسي والتجربة الديمقراطية وفق رؤيتها التي خلصت إليها بعد تجربتها الطويلة في الحكم، وبالتالي سارت في إقناع القوى السياسية بطرقها الخاصة ووفق منظورها الخاص حتى تقبل بما بلورته وتوصلت إليه كمشروع سياسي يحكم مستقبل البلاد وحاضره.

وكون القوى السياسية أساساً لم تكن جزءاً من هذا المشروع بعد استبعادها ولا يمثل رؤيتها ولا مصالحها فقد وقفت له بالمرصاد وخسرت في ذلك الكثير وعلى رأس تلك القوى التجمع اليمني للإصلاح، الذي فقد أهم قاعدة تنظيمية ومالية كان يرتكز عليها في تحركاته السياسية والدعوية والتي عرفت باسم المعاهد العلمية.

وبالتالي فإن القوى السياسية بمختلف توجهاتها قد وضعت في اعتبارها وضمن حساباتها أنها لن تكون في وضع قوي يسمح لها بفرض شروطها واسترجاع مكاسبها ومكانتها الا عند استغلال النقطة الأضعف في حياة النظام وهي الانتخابات الرئاسية القادمة التي سيحتاج فيها النظام لكل القوى وبدون استثناء، خاصة وأن الوضع الإقليمي والدولي يسيران في اتجاه فرض انتخابات نزيهة وشفافة، وهناك مؤشرات عديدة ظهرت توحى بأن النظام الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة لم تعد متحمسة لدعم الرئيس علي عبدالله صالح في الانتخابات الرئاسية القادمة، كما أن المملكة السعودية وهي الأقرب لليمن والأكثر تأثيراً وتأثراً بما يجري فيه لا تبدو علاقتها مع الرئيس في أحسن أحوالها.

بالإضافة إلى أن الوضع الداخلي الذي قادت إليه أحداث صعدة، قد جعلت

الالتفاف حول مشروع وطني واحد ينطلق من مشروعية دولة الوحدة

الوضع الإقليمي والدولي يسيران في اتجاه فرض انتخابات شفافة

النظام في أضعف مراحلها، بعد أن قطع أوامر آخر علاقاته مع بيئته المحسوبة عليه، وخسر كل المقومات الأساسية التي كان قد اكتسبها في تاريخه والتي كان على رأسها مكانة الجيش وهيبته العسكرية، وذلك بعد أن سمح للقبائل والمتطوعين للدخول معه في حرب صعدة..

وكل تلك العوامل أوجت للمعارضة بأنها عند الانتخابات القادمة ستكون في وضع قوي.

وبينما الجميع يعد أوراقه التي سيستخدمها ويخطط لطرق الاستثمار السياسي التي سيستخدمها أثناء الانتخابات الرئاسية ويفكر بالكيفية التي سيصفي فيها حساباته مع الرئيس علي عبدالله صالح إذ بالرئيس وفي خطاب عام تم الإعداد له وجمع أكبر عدد من السياسيين والدبلوماسيين ليكونوا شهوداً عليه يعلن في ١٧ يوليو عام ٢٠٠٥م أنه لن يترشح لرئاسة الجمهورية في الانتخابات القادمة، ويدعو أحزاب المعارضة وبقية القوى السياسية والوطنية لترشيح رئيس جديد يدخل الانتخابات ويقود اليمن ومسيرته السياسية، وألمح في خطابه التي علتها النبرة الجادة والصادقة بأن الوقت قد حان لتتسلم القيادة دماء شابة.

صُدمت الأحزاب السياسية بهذا الإعلان ودخلت جميع القوى في حالة ارتباك بما في ذلك قيادة المؤتمر الشعبي العام نفسه..

وإذا بالأوراق التي كانت الأحزاب تنتظر اللحظة الحاسمة لاستخدامها للضغط على علي عبدالله صالح تصبح لا معنى لها، واستطاع الرئيس ونظامه السياسي في لحظة زمنية قصيرة أن يتخلص من تراكمات واستحقاقات سنوات ماضية من سياسته التي كان عليه أن يدفع ثمنها عند ترشحه للرئاسة. وصار على أحزاب المعارضة (اللقاء المشترك) أن تعيد التفكير من جديد ومن نقطة الصفر في طريقة تعاملها مع الانتخابات الرئاسية القادمة وضمن احتمالات مفتوحة وخيارات غير محددة، أو هكذا أراد لها الرئيس علي عبدالله صالح.

إلا أن الموقف الطبيعي الذي كان متوقعاً من تلك الأحزاب وكلها ذات تجربة عريقة في العمل السياسي والتعامل مع الرئيس بعد إعلانه عدم ترشيح نفسه أن تتعامل مع ذلك الإعلان في إطار المناورات الانتخابية واللعبة السياسية، وتبادر إلى حزم نفسها بالإعداد الجاد لتحديد مرشحها القادم لرئاسة الجمهورية، بغض النظر عن موقف الرئيس الحقيقي، أو ماذا سيفعله المؤتمر الشعبي العام حتى لا تجد نفسها خارج اللعبة الانتخابية أو محصورة في مواقف (محددة سلفاً) حددها لها غيرها..

إلا أن الأحداث التي تلت إعلان الرئيس لذلك القرار قد أوضحت وإلى هذه اللحظة (نهاية مايو) أن المعارضة إلى الآن لم تحسم بعد دخولها إلى الانتخابات الرئاسية أو تسمي مرشحاً لها وتركت الساحة للمؤتمر الشعبي العام وقيادته السياسية لترسم وتحدد طبيعة التفاعلات الاجتماعية والسياسية المتصلة بالانتخابات وتتخذ الخطوة تلو الخطوة في الاستعداد للانتخابات وبدون أن تضطر للإعلان المبكر عن تراجعها في مناورتها السياسية وتعلن عن مرشحها الذي سوف تدخل به الانتخابات الرئاسية (علي عبدالله صالح).

دخلت جميع
القوى في حالة
ارتباك بما في
ذلك قيادة
المؤتمر الشعبي
العام

الموقف الطبيعي
من الأحزاب كان
المبادرة لتحديد
مرشحها القادم

هذا التعامل الثقيل والبطيء الذي سيطر على حركة المشترك في تعامله مع الانتخابات الرئاسية، والذي يعود إلى حركته الجماعية التي لم يتعود عليها بعد والتي يتصورها بأنها تتصف بالحذر والنباهة المطلوبة في مقابل سياسة علي عبدالله صالح، قد أفقدت المشترك الدعم الإقليمي والدولي الذي بدأت بعض خطواته السياسية وكان متوقعا منه ومنتظرا له..

(٣) مشروع الإصلاح وأحزاب اللقاء المشترك؛

شكل انضمام التجمع اليمني للإصلاح إلى أحزاب المعارضة حدثاً هاماً في دورها، كونه لديه أكبر قاعدة جماهيرية ويمتلك القدرة على تحريك أنصاره في المظاهرات، وحشدهم في الانتخابات، كما أن نشاطه الميداني الذي اتسع بعد الأحداث الأخيرة، قد أعاد له مكانته التي كان قد فقد بعضاً منها في استخدام المساجد وتحريض روادها في طرح القضايا التي يؤمن بها من خلال خطابه الإسلامي.

وظل اللقاء المشترك (الاشتراكي والإصلاح والناصري وحزب الحق واتحاد القوى الشعبية) على تخوف من تراجع الإصلاح يوماً ما عن موقع المعارضة وعودته إلى التحالف مع السلطة نظراً إلى التاريخ الطويل الذي جمع الإصلاح والرئيس والحزب الحاكم في تحالف استراتيجي في الفترات والمراحل الماضية. وبالرغم من سعي الإصلاح في تصريحاته الإعلامية إلى تطمين بقية أحزاب اللقاء المشترك عبر المواقف المتشددة في القضايا الساخنة إلا أن ذلك لم يكن كافياً لزرع ذلك الاطمئنان حيث كانت مواقف قيادته أثناء نقاش القضايا المصيرية في لقاءات قيادات المشترك لا تتفق أو تتوافق مع تصريحاته الإعلامية المعلنة وكان موضوع الخروج برؤية سياسية مشتركة للإصلاح الوطني في داخل اللقاء المشترك بالتوافق مع الإصلاح من أهم القضايا التي ستحدد طبيعته ومستقبل عمله السياسي ككيان موحد للمعارضة.

ومع أن الإصلاح وبقية أحزاب المعارضة قد أخذت وقتاً طويلاً في نقاش ذلك المشروع والاتفاق حول بنوده إلا أنهم أخيراً اتفقوا عليه وأعلنوه للأمة، وكان اتفاقهم على المشروع الوطني للإصلاح والإعلان عنه بمثابة ميلاد حقيقي للقاء المشترك بغض النظر عن القضايا التي تناولها أو طبيعة محتوى المشروع الذي تقدم به، فالأهم من ذلك كله أن الإصلاح عبر الموافقة على هذا المشروع ضمن أحزاب المعارضة قد كسب ثقة تلك الأحزاب ومهد لنقل علاقة المشترك بين قيادته النخبوية إلى القواعد الميدانية وبالذات قواعد الإصلاح وقواعد الاشتراكي، الذي كان ولا يزال بين عناصرهما من يرفض اللقاء بالآخر والاعتراف به أو التنسيق معه.. وهذا ما سوف ينعكس على طبيعة التعاون الإيجابي الذي سيقوم بينهما في الانتخابات القادمة سواء الرئاسية أو المحلية أو البرلمانية في المستقبل القريب.

كما أن توقيع الإصلاح على ذلك المشروع قد وحد طبيعة النظام السياسي الذي تتبناه المعارضة بكل فصائلها وحدد بعض معالمه والتي من أهمها تخلي الإصلاح عن مشروع السياسي الإسلامي المتمثل في الحكومة أو الدولة الإسلامية وشكلها التقليدي المتوارث نظرياً في أدبيات الإسلاميين بشكل عام، وتبنيه لمشروع الدولة الحديثة بنظامها البرلماني، إحدى الصيغ الغربية

سعى الإصلاح في
تصريحاته
الإعلامية إلى
تطمين بقية
أحزاب المشترك

أهمية الاتفاق
على المشروع
الوطني للإصلاح
أن الاشتراكي
والإصلاح تقدموا
بمشروع سياسي
واحد

للنظم السياسية، واحتكامه إلى آلياته التي لم يتم التأصيل لها إلى هذه اللحظة إسلامياً بشكل فقهي.

وإن كان مطالبة اللقاء المشترك وتبنيه للنظام البرلماني في مشروعه الوطني قد أوحى مع بداية إعلانه أن هناك صفقة بين النظام والمعارضة حول هذا الموضوع كون النظام البرلماني يعد الصيغة السياسية التي تتوافق مع الأنظمة الوراثية، إلا أن ردة فعل الإعلام الرسمي والسياسي قد بين أن المعارضة لم تكن تضع ذلك في حسابها ولا السلطة قد فكرت في الأمر من هذا الجانب.

وكانت أحزاب اللقاء المشترك -وعلى رأسها الإصلاح- تطمح إلى تقديم اللقاء إلى المعسكر الغربي وأمريكا من خلال تبنيه لمجموعة من التغييرات السياسية وعلى رأسها تحويل النظام الرئاسي إلى نظام برلماني، كمجموعة من الأحزاب المستجيبة لطبيعة المطالب الدولية المطروحة على قادة الأنظمة الفردية في الوطن العربي، والمتناغمة مع الأشكال الديمقراطية التي يتم تبنيها في المنطقة، كما هو حاصل اليوم في العراق.

ومع أن الملاحظ على مشروع الإصلاح السياسي للقاء المشترك أنه ارتكز على مجموعة الأفكار الرئيسية التي كان من أهمها:

- ١- الإصلاح السياسي والدستوري.
- ٢- تعزيز الوحدة اليمنية والوحدة الوطنية.
- ٣- الإصلاح الإداري ومكافحة الفساد.
- ٤- الإصلاح الاقتصادي والمالي.
- ٥- إصلاح السياسات الثقافية والاجتماعية.
- ٦- إصلاح السياسة الخارجية.

إلا أن الجانب المتميز فيه والمثير للنقاش هو في جانب الإصلاح السياسي والدستوري والذي يتطلب تعديلات دستورية تمس المواد التي يحتاج تعديلها إلى استفتاء شعبي، وهذا ما لا تملكه أحزاب اللقاء المشترك، فالحزب الحاكم وحده الذي يمتلك الأغلبية في البرلمان، والقادر على استحداث أي تعديلات دستورية، وبناء على هذا الواقع السياسي فإن مطالب اللقاء المشترك ولكي تتحقق ويستجاب لها لا بد أن يرضى بها الحزب الحاكم والسلطة السياسية، ويوافقان عليها، وهذا ما لا يمكن توقعه أو حدوثه، سواء كان عبر المفاوضات أو الضغوطات السياسية بالآلية التي تملكها أحزاب المعارضة، إلا إذا كان مشروع الإصلاح السياسي قد تم طرحه كخيار وحيد يتم التعامل مع النظام السياسي على ضوءه فإنه في هذه الحالة سيكون على أحزاب اللقاء المشترك أن تنزل إلى الشارع، وتستخدم أنصارها ومؤيديها، وتستفيد من حالة الاحتقان العام في الشارع الناتج عن الحالة الاقتصادية وغلاء الأسعار وفوضى الأمن والعدل، وتفرض على النظام السياسي التعامل مع مشروعها السياسي، وعلى رأسه مطالبها في تغيير طبيعته الرئاسية إلى البرلمانية، وهذا ما لا تقوى أحزاب اللقاء المشترك على فعله، كونها تعلم أن هذا الأسلوب في الضغط سيجعلها وجهاً لوجه أمام الجيش والسلطة ويدخلها إلى حلبة صراع حقيقي مع السلطة لا تحبذ تلك الأحزاب وفي مقدمتها الإصلاح والاشتراكي، فالأول يخاف على مكتسباته ومصالحه القائمة، والآخر يراهن على الهدوء حتى يعيد بناء ذاته

دعوة المشروع إلى تبني النظام البرلماني بدى وكانه صفقة مع النظام

التعديلات الدستورية المطروحة في المشروع لا بد أن يرضى بها الحزب الحاكم

ويستعيد قواه.

اليمن شئنا أم أبيننا جزء من الخليج

وعلى أساس هذا الفهم فإن مشروع الإصلاح السياسي لأحزاب المعارضة لم يبدو كخيار استراتيجي في حركتها ومطالبها، إما لكثرة المطالب التي تضمنها أو للسقف الذي نادى به.. ومن الطبيعي أن يتحول إلى ورقة قابلة للتفاوض وعلى ضوء قوة المتفاوضين حوله (السلطة والمعارضة) تكون النتائج والحسم في المكاسب التي يمكن للمعارضة الحصول عليها، وربما تكون الانتخابات المحلية والبرلمانية القادمة هي التي ستحدد طبيعة الصفقة أو الاتفاق الذي سيتم بين السلطة السياسية وأحزاب اللقاء المشترك كون التفاوض سيكون حولها في مقابل مرور الانتخابات الرئاسية بسلام واتفاق.

مع أن وقوف أحزاب المعارضة من زاوية أخرى في موقفها الثابت تجاه اللجنة العليا للانتخابات، والاتفاق على كيفية الانتخابات الرئاسية، قد أكسبها لدى الشارع مكانة واحتراماً يمكن تعزيزهما.

(٤) تأهيل اليمن للانضمام لمجلس التعاون الخليجي:

في ١٦ من شهر مايو تم نشر تصريح لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يقول فيه: "نتمنى إن شاء الله في يوم من الأيام ينضم إلينا إخواننا في اليمن لأنه ما من شك شئنا أم أبينا اليمن جزء من الأمة العربية والإسلامية وجزء من الخليج"، وأكد على دور الصناديق الخليجية التي تم تكليفها لتأهيل اليمن للانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي، وفي تعليق الملك عبدالله على اختيار صنعاء مكانا لاجتماع اتحاد الصحافة الخليجية، قال: "ذلك أحسن فاليمن أصل العرب.. وهو الرحم الذي خرج منه العرب".

بهذا التصريح الذي سبقته خطوات عملية كان أولها إدخال اليمن في أربعة مجالس هي: الصحة، والتعليم، والشئون الاجتماعية، وكأس الخليج، وبعد ذلك قرار تأهيل اليمن من قبل صناديق خليجية لذلك الغرض أصبح انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي مسألة وقت.

والمعروف أن مجلس التعاون الخليجي نشأ في بداية الثمانينات بعد قيام الثورة الإيرانية على أسس معروفة وأهداف كانت واضحة حينها وهي الوقوف ضد التوسع الإيراني، في منطقة الخليج، وتكوين قوة من دول المنطقة تكون قادرة على حماية نفسها بتشجيع من أمريكا.

ومع أن العراق كان أقوى دولة في المنطقة ويمتلك إمكانيات مجابهة إيران إلا أنه لم يدخل في ذلك المجلس، وتم دفعه لمهاجمة إيران ومحاربتها نيابة عن تلك الدول، وقد سارت - فيما بعد - الأمور في المنطقة - كما هو معروف - وأدت إلى قيام صدام باحتلال الكويت وكانت إحدى نتائج ذلك الاحتلال دخول الأساطيل الأمريكية إلى مياه الخليج والعيش فيها وإلى تواجد عسكري على الأرض اليابسة بشكل دائم.

هذه المتغيرات عملت على ابتعاد مجلس التعاون الخليجي عن الأهداف التي على أساسها تم إنشاؤه، فأمریکا أصبحت متواجدة بقواتها في منطقة الخليج وعلى أراضي دولها وصارت أمريكا معنية بالدفاع عن المنطقة تجاه أي تهديد إيراني، ودرع الجزيرة الذي تم تشكيله كنواة لقوة ردع خليجية لم يستطع إيقاف صدام أو منعه من احتلال الكويت، وتهديد بقية دول المجلس.

أمريكا بعد تواجدها في الخليج والعراق صارت معنية بالدفاع عنه

بعد احتلال أمريكا للعراق وجلب جنودها إلى داخل أراضيها انتفى تماماً الدور العسكري وحتى السياسي الذي تم على ضوئه تكوين مجلس التعاون في الثمانينات، والذي ارتكز على ما نعتقد على كون دول مجلس التعاون دولا خليجية بمعنى أنها تقع وتعيش على الضفة الغربية من الخليج، ويقابلها على الضفة الشرقية جمهورية إيران الإسلامية لفارسية، والقاسم المشترك بينها هو إنتاج النفط، وعلى هذا الأساس فاليمن قبل عشرين عاماً (في بداية الثمانينات) ليس من الدول المطلة على الخليج ولا من الدول النفطية.. وبالتالي لم يكن لها مكان أو دور في تلك المنظومة بعد أن تم فصل دول الخليج في وظيفتها عن موقعها التاريخي والجغرافي (شبه جزيرة العرب) والتي هي في الأصل جزء أساسي من سكانها الأصليين ودولها تقع ضمن أراضيها، والتي ارتبط اسم العرب بها (أي جزيرة العرب).

وكان من المفترض والطبيعي أن تكون إيران التي تقع أراضيها على طول الضفة الشرقية للخليج وبقية دول الخليج على غربه، أن تصبح على رأس مجلس التعاون الخليجي عند قيامه، فيما لو لم يتغير النظام فيها ويطاح بعرش الشاه منها، هذا إذا كان مجلس التعاون الخليجي تجمعا للدول المطلة عليه، كما يدل عليه اسمها، أما إذا أخذنا في الاعتبار الاسم الرسمي والمتداول في الهيئات الدولية والرسمية والخرائط للخليج والذي تصر إيران على تسميته به وهو الخليج الفارسي وتقف الدوائر الرسمية والعلمية معها في هذه التسمية، فإن مجلس التعاون الخليجي صار اسماً لتجمع يتنازع مع إيران شرعية اسم الخليج، بعيداً عن موقعه وتسميته في الجزيرة العربية، والسيطرة عليه ومن ثم حق السيادة على مياهه، كأهم ممر تتدفق عبره الطاقة النفطية (شريان الحياة المعاصرة).

وكما ذكرنا سابقاً فإذا صار الصراع على النفط والسيطرة على مياه الخليج سواء كان عربياً أو فارسياً بين أمريكا عبر تواجدها العسكري فيه وفي العراق وبين إيران فإن من الطبيعي أن تعود دول مجلس التعاون الخليجي إلى الانتساب إلى جزيرة العرب، التي ارتبطت بالإسلام ونشأته، وبالعرب وأصلهم، والانطلاق منها، ومن ثم يصبح النظر إلى الضفة الغربية من الخليج على أساس أصلها كجزء من شبه الجزيرة العربية، وتخرج دول منطقة الجزيرة من التوظيف السياسي أو العسكري الذي أرادته بريطانيا سابقاً وأمريكا لاحقاً.

وفي هذه الحالة سيكون هناك خليج فارسي وجزيرة عربية يربط بينهما الإسلام وإنتاج النفط والتواجد على ضفتي أهم الممرات المائية في العالم. وإذا كانت هناك نوايا دولية لتوظيف شبه جزيرة العرب بما تمثله من مكانة روحية للمسلمين وعرقية للعرب تجاه القومية الفارسية التي ستصبح قريباً دولة نووية وقد تضطر أمريكا وأوروبا للتعامل معها كواقع ومن ثم تتقاسم معها المصالح والنفوذ على حساب الدول العربية، وخصوصاً دول الجزيرة المنتجة للنفط، بناء على التوظيف القومي الذي سيصبح ممكناً بعد انضمام اليمن إلى مجلس التعاون (لدول الجزيرة العربية) فإن على دول شبه الجزيرة العربية أن تعي هذه اللعبة وتنتهز هذه الفرصة لتنتقل في دورها الإقليمي والسياسي والعسكري من مصالحها الذاتية، وجذورها العربية ودورها الإسلامي بدلاً من

فصل دول الخليج عن شبه الجزيرة العربية خلق لها وظيفة جديدة

شبه الجزيرة العربية تمثل مكانة روحية للمسلمين ومصدر انتماء عند العرب

التحرك وفق المشروع الأمريكي والدور الذي حدده لها.

ومن خلال الطرح السابق نستطيع الخروج ببعض الاستدلالات والنتائج:

- بعد التواجد الأمريكي في مياه الخليج وعلى أراضي شبه جزيرة العرب واحتلاله للعراق، صار موضوع النفط وحماية ممراته تقوم به أمريكا بنفسها وبجنودها، ولم يعد يهتمها تسمية الخليج بالعربي أو الفارسي، لأن تلك الوظيفة قد فقدت دورها ومهمتها.

- أمريكا تريد توظيف جديد لشبه الجزيرة العربية وليس لدول الخليج وبالتالي لا بد من انضمام اليمن إلى هذا المجلس ليؤدي وظيفته الجديدة في المنطقة.

- دول الجزيرة التي تقع على ضفة الخليج لا بد لها من إعادة الهوية العربية إلى دولها بعد اختلال التوازن الذي أحدثته إيران على المستوى الدولي وليس على المستوى الخليجي، الذي خرج أصلاً من الحسابات الفاعلة والمؤثرة، وهذا لن يتم إلا بإدخال اليمن ضمن دول الخليج أو عودة دول الخليج إلى الانتساب إلى شبه جزيرة العرب، بحيث يعيد اليمنيون عبر التوازن السكاني والعنقي الهوية العربية إلى تلك الدول بعد تأهيلهم خاصة وقد أخفق توازن القوى التي كانت دول الخليج تتحرك على أساسه ومن ورائها أمريكا والغرب، وصار التوازن البشري والعنقي أهم من توازن القوة.

- إيران تملك علاقة تاريخية مع اليمنيين منذ عهد سيف بن ذي يزن، وهناك قواسم مشتركة بينهما فإذا ما صارت العراق دوله صديقة لإيران فإن بقاء اليمن خارج إطار مجلس التعاون سيجعل من السهل إقامة تحالف يجمع إيران والعراق واليمن، ولذا لا بد من استيعاب اليمن ضمن منظومة واحدة تعتمد على هوية الجزيرة العربية بدلاً من الهوية الخليجية، كما أن انضمام اليمن إلى مجلس التعاون سيحمي اليمن من التأثير المباشر على مجرياته الداخلية وخاصة بعد أحداث صعدة التي اتضح فيها قدرة الزيدية كشعبة في خلط الأوراق والتأثير على الحياة السياسية ومكانة الدولة.

- اليمن يعد من أهم دول الجزيرة العربية، حيث يمتلك أكبر شواطئ بحرية مفتوحة على المحيط الهندي، وهذا ما لا تملكه كل دول الخليج مجتمعة - سوى عُمان -، وبه أكبر تجمع سكاني، غير موروثه الحضاري قبل الإسلام والفكري بعده، وبدخول اليمن إلى تجمع يضم دول شبه الجزيرة العربية سيجعل من ذلك التجمع يمتلك مصادر الدولة القوية، القادرة على البقاء والدفاع عن نفسها.

- دخول اليمن إلى مجلس التعاون وبدعم واضح من المملكة العربية السعودية سيده الموقف في هذا التجمع سيعيد لليمن والسعودية دورهما الريادي في تقاسم النفوذ في منطقة الجزيرة، كما كان بعد اتفاقية الطائف، كما سيفتح المجال أمام البلدين لحالة من التكامل الاقتصادي والسياسي يقودهما لتكوين دولة كبيرة في المنطقة العربية وليس على مستوى الجزيرة العربية فحسب، وبهذا التكامل يمكن المحافظة على دول الخليج ومصالحها وخلق توازن في منطقة النفط.

- دخول اليمن وانضمامه إلى مجلس التعاون سيعزز دور القبيلة الذي يحكم من خلال أسرة حاكمة، كما هو النمط السياسي للدول النفطية، ولكن

اليمنيون يمكن
أن يعيدوا
التوازن السكاني
لدول الخليج

اليمن تمثل
الحزام
الاستراتيجي
لدول شبه
الجزيرة
العربية وبوابتها
المفتوحة

ضمن إدارة حديثة وسيادة للقانون.

المستقبل المنظور

من خلال استعراض أهم الأحداث التي مرت بها اليمن، كيف يمكن أن تمضي الانتخابات الرئاسية؟ وماذا عن مستقبل النظام السياسي بعدها؟

- بعد العفو العام والتوجه نحو إغلاق ملف صعدة والسير به إلى النهاية، فإن نتائج ذلك العفو ستجعل لدى النظام قدرة سياسية في التحرك نحو هذه الشريحة من جديد، وجذبها للتفاعل مع الانتخابات الرئاسية في اتجاه ترشيح علي عبدالله صالح، وفي هذه الحالة فإن الاستهداف الفكري والسياسي، الذي أصبح واضحاً على الواقع، واتضح أكثر معاملة في استبعاد خطباء المساجد وإغلاق المعاهد والمدارس الخاصة بالزيدية، والتشديد على نشر كتبهم، والذي كان آخر صورته منع المؤسسات اليمنية المتخصصة في نشر كتب الزيدية من المشاركة في معرض الكتاب بصنعاء، في حين سمح لها بالمشاركة في معرض الرياض مثلاً، في ظل سماح ورضاء واضح للتدين الوافد من الفكر السلفي وغيره، وفي ظل استمرار دروس المساجد وحلقات العلم لمنتسبي الإصلاح مثلاً، وتطبيق القوانين المتصلة بهذا الموضوع بنفسية حرب صعدة وتداعياتها، كل ذلك سيجعل قاعدة الشريحة الزيدية غير مقتنعة بالتفاعل مع الانتخابات، لأن الذي تم هو معالجة الآثار العسكرية لحرب صعدة، وترك نتائجها الأخرى الفكرية والسياسية التي أفرزتها واستغلها الآخرون على الأرض قائمة ودونما أية معالجة.

ولكون النظام لازال مرتبطاً بالقوى التي استغلت حرب صعدة، ومحتاجاً لها في الانتخابات فإنه لا يستطيع إرجاع الوضع إلى ما كان عليه قبل الحرب، لأن تلك القوى تعتبر ما تحقق لها على الواقع من مكتسباتها الجديدة.

وفي هذه الحالة فإن النظام السياسي سيكون في حاجة لموقف صارم وواضح في إنهاء نتائج حرب صعدة التي أخلت بالتوازنات من جديد والعودة إلى تطبيق القوانين المتصلة بالمساجد والمدارس والنشاط الدعوي والتعليمي بروح واحدة وعلى جميع الأطراف.

وفي هذه الحالة سيصبح من السهل التعامل مع كل شرائح المجتمع من منظور المصلحة الوطنية العليا، والتي سيتقبلها الجميع وعندها يمكن أن نشاهد صراعاً واضحاً على استقطاب القاعدة العامة للزيدية وشريحة الهاشميين بين السلطة والإصلاح وبقية أحزاب اللقاء المشترك، وإذا ما استطاعت السلطة كسب هذه الشريحة من جديد فإن القوى المنافسة للسلطة ستفقد خطاباً شعبياً وقضية ساخنة كان يمكن الاستفادة منها، وستتمكن قيادات الزيدية من تحقيق مكاسب جديدة، وربما تعود من جديد إلى الاتفاق مع السلطة، وخاصة وموضوع احتواء الزيدية وشريحة الهاشميين من قبل النظام أصبح مطلباً إقليمياً ودولياً، حتى لا تصبح إيران في حالة استمرار استبعادهم واستهدافهم عمقاً يتواصلون معه ويحتمون بقدراته ومكانته، وهذا ما سيجعل لإيران موطئ قدم حقيقة في جنوب الجزيرة العربية.

وهنا سيكون أمام المشترك الذي قدم مشروعه الوطني للإصلاح الاهتمام بهذه الشريحة ضمن اهتمامه بخلق إجماع وطني على مشروع وطني يمثل

العفو أعطى
النظام السياسي
قدرة سياسية
على التحرك

لابد من موقف
في تطبيق
القوانين المتصلة
بالمعاهد
والمساجد على
جميع القوى
والأطراف

طموحات ومصالح وحقوق كل المناطق والفئات والتجمعات والمذاهب التي يتكون منها المجتمع اليمني.

هذا إذا كان يريد الدخول في الانتخابات بمرشح يمثل المشترك، إلا أن الواضح أن المشترك لن يدخل بمرشح باسمه والأرجح أنه سيدعم مرشح مستقل، ويدخل في اتفاق ضمني مع السلطة فيبدو أمام الجماهير أنه منافس وأمام الدولة والسلطة أنه لم يقف أمامها.

وفي ضوء هذه الصورة ستكون السلطة غير معنية بتقديم تنازلات كافية لقوى المعارضة وفي نفس الوقت ستكون قوى المعارضة قادرة على عرض بعض عضلاتها وإيصال رسائل إلى السلطة خارجا عن الإطار العلني، بما يجعل السلطة تحسب حسابها في الخطوات التي ستتخذها فيما بعد الانتخابات: تشكيل حكومة - تعديلات دستورية.

وباختصار شديد فإن اليمن ستسير في الانتخابات وفق اتفاقات فرضتها تأخر المشترك عن استغلال دعوة الرئيس لاختيار مرشح للرئاسة وما سيؤدي إليه تطبيق العفو العام الخاص بأحداث صعدة، موقف الشعب اليمني الذي لم يجد من ينصره في قضاياها، وبالتالي يتجه لدعمه، خاصة بعد تجربة انتفاضة الساكنين التي لم تتحرك فيها الأحزاب، وبعد تعرض الفلسطينيين لمؤامرة الحصار ومناشدتهم لخروج الشعوب لمناصرتهم وسكوت الطرشان الذي قابلت به الأحزاب هذا الوضع وخاصة الإسلامية منها والإصلاح بصورة أخص، ثم مؤشرات الاستطلاعات التي أوضحت مزاج الناس والذي لازال أكثر من ٥٠٪ أو ٦٠٪ منهم يفضلون الرئيس علي عبدالله صالح.

وتراجع الموقف الأوروبي في دعم قوى المعارضة بالصورة التي كانت عليه قبل أشهر وكذا الموقف الأمريكي الذي بدأ أخيراً أنه مع ترشيح صالح ومع دعوة اللقاء المشترك للاستفادة من الانتخابات والتواجد في المجالس المحلية ومن ثم التمهيد لتواجد أكثر تأثيراً في البرلمان القادم بمعنى أن الدور الذي كانت أوروبا وأمريكا تأمله من المعارضة قد أرجأته إلى بعد انتخابات الرئاسة.

وبناء على ذلك فإن المرحلة القادمة في رئاسة الجمهورية ستتجه نحو بناء الدولة وإيجاد مجتمع ديمقراطي تشارك فيه الأحزاب في البرلمان، والأعيان والمشايخ في مجلس الشورى وبقية القوى في الحكومة الوطنية القادمة، فيما تبقى مفاصل الدولة ومكامن القوة فيه بيد المؤسسة العسكرية والأسرة الخارجة من رحم القبيلة في نظام سياسي يأخذ بتوجهات النظام الجمهوري في أهدافه ومؤسساته العامة فيما يحقق على الأرض صورة الأنظمة الملكية الدستورية الشعبية بدعم إقليمي بالدرجة الأولى ودولي ثانياً وفي خطوات تشد اليمن نحو استراتيجية جزيرة العرب بدلا من الاتجاه نحو القرن الأفريقي.

المشترك لن
يدخل بمرشح
باسمه، وقد
يرشح شخصية
مستقلة

أرجأت أوروبا
وأمرिका الدور
الذي كانت تأمله
من المعارضة إلى
بعد الانتخابات

قراءة تحليلية لاستطلاع (مركز الرائد) حول:

التجربة الديمقراطية دور الأحزاب وتأثير القبيلة إعادة ترشيح الرئيس صالح

تمهيد:

يولي مركز الرائد للدراسات والبحوث اهتماماً خاصاً بدراسة وتحليل الرأي العام للوصول إلى معرفة توجهاته إزاء كافة القضايا الحيوية التي تعتمل في المحيط المحلي والعربي.

وهو ما يسهم - ليس فقط في تبصرة المعنيين بما لهم وما عليهم، بل وفي تهيئة الجميع - قرناً وقرناً - للقيام بعمل استباقي يتجاوز كل الصيغ السوربالية الراهنة.

ذلك أن لغة المؤشرات والأرقام الواقعية تتبلور في الغالب إلى دعوة عامة ومفتوحة للدخول في حالة من مراجعة وتقييم وبناء الذات على أساس من الشعور بمعيارية الرأي العام وهذا ما يؤسس لانطلاقة جديدة نحو الأفضل..

لقد سبق لمركز الرائد إجراء العديد من الاستطلاعات خلال السنوات الماضية، في القضايا المحلية والعربية والدولية التي أخذت صدىً واسعاً كونها شكلت رافداً معرفياً مهماً في مجال القضايا التي طرقتها.

وفي مواصلة منه لتقديم المعرفة وتعظيم إسهاماته التنويرية هاهو ذا -المركز- يقدم استطلاعاً جديداً للرأي العام حول قضايا ثلاث هي من أكثر القضايا إثارة للجدل في الشارع اليمني، وهي:

المنهج المعرفي السليم يؤسس لوسائل عمل صحيحة

١. التجربة الحزبية لبلادنا ودور الأحزاب فيها.
 ٢. دور حزب المؤتمر الشعبي في إدارة الحكومة.
 ٣. احتمال ترشيح المؤتمر للرئيس.
- ومع أن عدداً من وسائل الإعلام المحلية والعربية والاجنبية قد تناقلت نتائج هذا الاستطلاع إلا أن ذلك قد لا يغني -من وجهة نظر الرائد- عن تقديم قراءة تحليلية أولية توضح بعض أبعاد هذا الاستطلاع عبر هذه الأوراق القلائل مؤكداً قبل ذلك التزامنا برسالة المركز القائمة دوماً على انتهاج الحيادة والبحث عن الحقيقة وصولاً إلى تقديمها كما هي وبكل شفافية.. إيماناً منا بأن هذا هو المنهج المعرفي السليم الذي سيتمكن مع مرور الأيام من إرساء قيم حميدة تؤسس لوسائل عمل صحيحة يعود نفعها على الجميع.

أولاً: الموقف من التجربة الحزبية:

جميعنا يعرف أن اليمن تعتبر الوحيدة من بين بلدان الجزيرة العربية التي انتهجت الديمقراطية كنظام، وهي بالتالي تكون قد اختصت من بين هذه البلدان بخوض تجربة حزبية وتعددية سياسية، تزامنت البداية الفعلية لها مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي، كأحد مقتضيات قيام الوحدة اليمنية. ومعلوم أيضاً أن هذه التعددية قد استوعبت كل ألوان الطيف السياسي والاجتماعي في اليمن تقريباً، لتصبح بعد ذلك؛ الخيار المعتمد لدى اليمنيين في تقرير مصيرهم حاضراً ومستقبلاً.

على أن هذه التجربة التي تحتفل بمرور ستة عشر عاماً على ميلادها، وهو ما يفترض أن تكون قد وصلت إلى مستوى مقبول من الرشد. ولذا جاء السؤال الأول من استطلاع الرائد ليكشف عن حقيقة هذا المستوى الذي وصلت إليه تجربتنا الحزبية، وما إذا كانت ناجحة أم لا؟ وقد أظهرت نتائج استطلاع الرأي العام حول هذا السؤال انقسام الناس إلى فئتين:

الفئة الأولى:

يكشف السؤال الأول عن حقيقة ما وصلت إليه تجربتنا الحزبية

أكدت نجاح التجربة الحزبية في بلادنا.. وهي تمثل ما نسبته ٣٥٪ من عدد المشاركين.. وهذه الفئة كما نلاحظ بدت في إجاباتها متفائلة مقارنة بالفئة الثانية، على أنه يمكن تفسير ذلك بأحد أمرين:

- إما لأنها نظرت في ما تبقى من التجربة الحزبية بعد الانتكاسات الخطيرة التي مرت بها في تسعينيات القرن الماضي، إلى جانب المتغيرات الداخلية والخارجية، والتي تتمثل تحديداً في: حرب صيف ٩٤م، والحادي عشر من سبتمبر، ومؤخراً أحداث صعدة.. وما أفضت إليه تلك الانتكاسات والمتغيرات من ممارسات وظروف عصيبة واجهتها هذه التجربة وبالتالي تكون هذه الفئة

قد اعتبرت العدد المتبقي من الأحزاب والقيادات والصحافة الحزبية مؤشراً على نجاح التجربة أو قابليتها للحياة ولو في الحد الأدنى.

• وإما أن هذه الفئة قد تكيّفت رهبة أو رغبة مع الحالة الراهنة، وبالتالي أصبحت تنظر إليها كحالة طبيعية وناجحة.

الفئة الثانية:

وهي تشكل الأغلبية، أي ما نسبته ٦١٪ من عدد المشاركين، وقد جزمت هذه الفئة بعدم نجاح التجربة الحزبية في بلادنا. وإذا كان لهذه النتيجة من تفسير فهو أن هذه الفئة الغالبة من المشاركين -ربما- قد قرأت التجربة الحزبية من خلال الأداء الضعيف للأحزاب واستمرار منحى الضعف على طول الخطوط العملية لها في مجالات الحياة العامة، ولعل ما يعضد هذا التفسير هو ازدياد نسبة المحبطين من دور الأحزاب كما سنرى ذلك لاحقاً.

وهو ما قد يعود إلى أسباب متداخلة وبالغة التعقيد ابتعدت معها العملية الحزبية عن المعنى الحقيقي لها كمفهوم وكممارسة، ولما كان هذا المعنى يفضي في العادة إلى مزايا حياتية تعكس في النهاية واقعاً أفضل، فإن هذه الفئة من الناس - كما يبدو - لم تلمس في واقعها مثل هذه المزايا، مما يعني بالنسبة لها أن مفهوم الحزبية بهذا المعنى - حتى مع وجود الأحزاب - لا يزال بعيداً عن تناول التجربة الحزبية في اليمن، وهذا ما يفسر عدم تردهم في الحكم بفشلها.

ثانياً: الموقف من دور الأحزاب تجاه الحكومة والمواطن:

رغم تعدد وظائف العمل الحزبي وتظهرها في شتى المجالات - كدالة كبرى على وجود حراك مدني وحياة ديمقراطية بمفهومها وأبعادها العامة الكبيرة والمتعددة في بلدنا.. إلا أن استطلاع الرائد قد فضل الأخذ بلمحين فقط من هذا المشهد الوظيفي المتعدد وذلك لأهميتهما، وهما:

١ - قدرة الأحزاب على القيام بدور إيجابي في ممارسة الضغوط على الحكومة:

يعتبر من أهم تجليات العمل الحزبي المثابرة والمنافسة الحزبية في كسب الرأي العام وإحراز الشرط الضروري للوصول إلى السلطة وهو ثقة الشعب. على أن الوصول إلى سدة الحكم لحزب ما أو عدم الوصول لا يعني بأي حال من الأحوال نهاية الدور أو توقف الطموح عند هذه النقطة. إذ يصبح الحزب الحاكم معني بتنفيذ التزاماته التي حظي على أساسها بثقة الشعب وعدم الانحراف بها أو الخروج عنها.

مثلما تصبح الأحزاب الأخرى معنية بمراقبة أداء الحزب الحاكم ومدى التزام حكومته بالبرنامج الانتخابي لهذا الحزب، بل وممارسة الضغط على حكومة الحزب الحاكم بما يكفل ذلك.. وما لم تكن الأحزاب قادرة على تأدية هذا الدور فإنها بالتالي لن تكون قادرة على إحراز ثقة الجماهير.

٦١٪ جزموا

بعدم نجاح

التجربة

الحزبية مقابل

٣٥٪ قالوا

بنجاحها

رصد الاستطلاع

تأثير الأحزاب

السياسية على

الحكومة ودورها

في تحمل هموم

الناس

في هذا السياق جاء السؤال الثاني لرؤية ما إذا كانت قادرة على القيام بهذا الدور أم لا؟

وقد أظهرت نتائج الاستطلاع حوله؛ أن الأغلبية العظمى من الناس، أي ما نسبته ٦٩٪ من عدد المشاركين يؤكدون عدم قدرة الأحزاب على القيام بدورها في ممارسة ضغوط إيجابية على الحكومة، في مقابل ٢٨٪ فقط من عدد المشاركين قالوا بقدرتها على ذلك.

وهذا يعني ما يلي:

١. ضعف الأداء السياسي للأحزاب.

٢. ازدياد نسبة المحبطين من هذا الأداء في مقابل نسبة المحبطين من التجربة الحزبية ككل.

٣. أن الأحزاب وفق هذه النتيجة قد لا تكون قادرة على إحراز أي تقدم باتجاه الحكم والسلطة، وحينما تظهر الأحزاب بهذه الوضعية فإن المشكلة قد تقرأ في احتمالات ثلاثة هي:

• إما أن الأحزاب لا تمارس دورها كما يجب.

• وإما أن الدولة لا تتيح لها ممارسة هذا الدور.

• أو أنها تمارس دورها في الضغط على الحكومة دونما استجابة لهذا الضغط، مع أن هذا الاحتمال قد لا يتوافر لكون الضغوط التي لا يستجاب لها لا تعتبر ضغوطاً في الغالب.

٢- الموقف من دور الأحزاب في تحمل هموم

وقضايا الناس والدفاع عن حقوقهم:

يدرك الجميع أن أي حزب سياسي لا يرغب بل ولا يرضى لنفسه أن يكون مثل قطرة ضيعت نفسها في المحيط، ولكي لا تكون الأحزاب كذلك فله يفترض فيها المسارعة أو المبادرة نحو بناء ما يمكن تسميته بالوجود الخاص، بيد أن هذا الوجود لا يمكن أن يتحقق لها إلا بمقدار فاعليتها وتواجدها ضمن الوجود العام. مما يعني أن الأحزاب السياسية مطالبة على الدوام بالنزول عند مستوى هموم الناس وقضاياهم والدفاع عن حقوقهم، إذ أن هذا الدور -بحق- هو ضمان الوجود الفعلي لأي حزب.

من هنا تأتي أهمية السؤال الثالث من الاستطلاع كونه جاء لبيان حجم الدور الذي تلعبه الأحزاب في حياة الناس وقياس مدى وجودها الفعلي في واقع همومهم وقضاياهم.

وقد أظهرت نتائج استطلاع الرأي العام حول هذا السؤال وبأغلبية ٦٩٪ من عدد المشاركين، غياب الأحزاب السياسية وتخليها عن لعب مثل هذا الدور الهام والاساسي في تكوين وجودها.

وأن نسبة بسيطة قد لا تصل إلى ٣٠٪ من عدد المشاركين هي من تحظى باهتمام الأحزاب كما يبدو.

الأمر الذي يعني وجود نوع من العزلة فيما بين الأحزاب وبين السواد الأعظم من الناس، وهو ما قد يفسر حالة الإحباط لدى هؤلاء من جهة، وتراجع

٦٩٪ قالوا بعجز

الأحزاب في

الضغط على

الحكومة مقابل

٢٨٪ أكدوا

قدرتها على ذلك

٦٩٪ يرون بأن

همومهم لا

تحظى باهتمام

الأحزاب مقابل

٣٠٪ يرون العكس

شعبية الأحزاب وبالتالي إخفاقتها المتزايد في أداء مهامها - عدا بعض المناورات بحكم النسبة - من جهة أخرى.

ثالثاً: موقف الرأي العام من أثر القبيلة والأحزاب على الحياة السياسية:

تتجه مجتمعات دول العالم الثالث من حيث المبدأ نحو ما يسمى بالمجتمع المدني، ولا ريب أن الأحزاب السياسية هي من أبرز مظاهر هذا المجتمع، بل ويناط بها من زاوية أخرى بناءه وترسيخه، وبالتالي فهي تعبر عن اندماج المجتمع في الحالة المدنية والقبول بالتغيير والمنافسة وفق السنن الدستورية والقانونية. أما المفهوم العام للقبيلة فيعني تمسك المجتمع بالأعراف والتقاليد حتى في حالة تصادمها مع الدولة أو مع سيادة الدستور والقانون.

ولأن القبيلة - كمفهوم وكممارسة - لا تزال قائمة في مجتمعنا جاء السؤال الرابع ليحدد دور الأحزاب في التخفيف من مظاهر المجتمع القبلي ومدى أثرها في صنع التحول نحو المجتمع المدني وفي هذا الصدد أظهرت نتائج استطلاع الرأي العام وبأغلبية ٦١٪ من عدد المشاركين، أن دور القبيلة وتأثيرها على الحياة العامة لا يزال هو الغالب في المجتمع اليمني في مقابل نسبة أقل (٣٦٪) هم من قالوا بأن الأكثر تأثيراً هي الأحزاب.

ومهما يكن فإنه ومن خلال هذه النتائج يتضح تواضع دور العمل الحزبي في إحداث تحولات مدنية حقيقية، مقابل دور القبيلة المذهل في التأثير على الحياة السياسية.

ولا ندري ما إذا كان بمقدورنا - تفسير ذلك - بتفوق ما للقبيلة في مجال العمل العام على الأحزاب أم لا؟!.

ولكنها بالتأكيد إما أن تكون كذلك فعلاً، أو أن الأحزاب ذاتها لا تزال تحمل قدراً من الطابع القبلي في سلوكياتها وطريقة تفكيرها.. أو أن هناك أسباباً أكبر تتعلق سلبياً بجدية التوجه العام نحو المجتمع المدني وهو ما يتحمل مسئوليته ليس فقط الأحزاب وإنما كل مكونات المجتمع، بالمعنى الشامل لهذه المكونات.

رابعاً: الموقف من حكومة المؤتمر:

يعتبر حزب المؤتمر الشعبي العام الحزب الأكثر حضوراً على خارطة الأحزاب السياسية في اليمن بيد أنه ظل يمارس الحكم بطريقة الائتلاف بينه وبين حزب آخر أو أكثر، ولم ينفرد بالسلطة أو الحكم إلا منذ الانتخابات النيابية للعام ١٩٩٧م.

وبالتالي لم يكن ليتضح نجاحه من عدمه - بسهولة - في ظل الحكومات الائتلافية، لذلك جاء السؤال الخامس من الاستطلاع لقياس مدى نجاح المؤتمر في إدارته للحكومة بعد أن قدر له - وبالأغلبية المريحة - الانفراد بتشكيلها. ولعل ما يجعل هذا السؤال مهماً بل وغاية في الأهمية أن الاستطلاع بشأنه قد جاء في الوقت التحضيري لعقد المؤتمر الشعبي العام مؤتمره السابع، خاصة وأنه يستبعد أن يكون من بين مقررات هذا المؤتمر استمرار منح الثقة لحكومته

حصدت القبيلة
٦١٪ مقابل ٣٦٪
للأحزاب من
حيث القدرة على
التأثير في
الحياة السياسية

يرى ما نسبتهم
٦٥٪ بأن
المؤتمر فشل في
إدارة الحكومة

الحالية، وهو ما سيرتكز - إلى حد كبير - على مدى نجاح أو فشل الحكومة للفترة الزمنية المتبقية لها.

وحول هذا السؤال أظهر استطلاع الرأي العام النتائج التالية:

• ٣٤٪ نعم (كان المؤتمر ناجحاً في إدارة الحكومة).

• ٦٥٪ لا (لم يكن المؤتمر ناجحاً في إدارة الحكومة).

وفي قراءة لهذه النتائج لا يمكن القول إلا أن حكومة المؤتمر قد فشلت ولن يغير من هذا القول نسبة من قالوا بنجاحها، لأن حكومة لا تحصل من التأييد على نسبة ٥٠٪ على الأقل هي حكومة فاشلة بكل المقاييس. كما أن هذه النتائج قد توحي من زاوية أخرى بتراجع شعبية المؤتمر.

على أن التفسير قد لا يخرج في كل الأحوال عن أحد الاحتمالين التاليين أو كلاهما معاً، وهما:

• إما أن حزب المؤتمر فعلاً لم يقدّم بدوره كما ينبغي في إدارة الحكومة.

• وإما أن حكومة المؤتمر قد وجدت نفسها أمام أعباء ثقيلة الوطأة ليست من صنعها لوحدها، وإنما هي تركة، قدر لهذه الحكومة وراثتها، وبالتالي فهي تحتاج

لمزيد من الوقت كي تثبت كفاءتها وتظهر آثار ما تبذله من جهود.

ناهيك عن أن متلازمة ضعف وإضعاف الأحزاب قد تكون محوراً في قضية فشل أي حكومة نظراً لما تسببه هذه الثنائية من انعكاسات ضارة وسلبية على

البيئة السياسية بوجه عام.

وعلى كل سيكون من المفيد لحكومة المؤتمر ما يلي:

• أن تأخذ هذه النتائج - مهما كانت مؤسفة - بعين الاعتبار.

• أن تستولد من هذه النتائج الدافع الذي يلزمها للانعقاد من حالتها الراهنة.

خامساً: الموقف من تعدد المنابر الفكرية

داخل الأحزاب الأخرى قياساً بالمؤتمر:

في أدبيات الشعبي العام وفي واقعه أيضاً الموافقة وحدها على برنامج السياسي هي شرط الانتماء إليه بصرف النظر عن الخلفية الثقافية أو الأيديولوجية لشخص المنتمي.

وبالتالي عُرف المؤتمر بتعددية القوى والتيارات الفكرية فيه، وهو ما يدل على مرونة الحزب من جهة، وإمكانات هذه القوى أو التيارات المتعددة على التعايش داخل حزب واحد والعمل في النهاية على برنامج سياسي موحد.

بينما أغلب الأحزاب الأخرى تستند في عملها الحزبي والسياسي إلى أيديولوجيا محددة فتتجلى معاييرها الفكرية في جميع رؤاها وبرامجها.. وتنسحب هذه المعايير حتى على قضية شروط الانتماء إليها.

ولعل في هذا النهج الحزبي ما يستدعي المراجعة ذلك أن الاصل - في العمل الحزبي - هو وجود برنامج لكل حزب، هذا البرنامج يفترض أن يعبر عن مصالح الأمة - وهو ما يستدعي أن يكون مرناً إلى حد ما - كي يستوعب هذه المصالح. وبالتالي جاء السؤال السادس من هذا الاستطلاع ليحدد موقف الرأي العام

نتائج الاستطلاع

توحي من زاوية

أخرى بتراجع

شعبية المؤتمر

استيعاب مصالح

الأمة يستدعي

أن تكون

الأحزاب مرنة

مع بعضها

من هذا الموضوع وفي أي اتجاه يسير.

وقد جاءت الإجابة لتقول أن نسبة الذين يفضلون أحادية المنبر داخل الحزب الواحد هم ٥٢٪ في حين أن نسبة ٤٣٪ رحبوا بفكرة تعددية المنابر داخل الحزب الواحد، وهذا يعني أن نسبة من الناس لا بأس بها أصبحت تتجه نحو المسار المتقدم لمفهوم الحزبية.

أما النسبة الأخرى وهي الأكثر (٥٢٪) فتوحي بأن الكثير لا يزال يمارس الحزبية من منطلق الفكر الواحد، ويمكن تفسير ذلك بعدم تجذر مفهوم الحزبية في ذهنية هؤلاء أو عدم الانعتاق من حالة الضيق بالآخر داخل الحزب الواحد على الأقل.

من هنا أعتبرت النسبة (٤٣٪) التي رحبت بفكرة تعدد المنابر - مؤشراً جيداً، وإن كانت أقلية بالنسبة لمن رفضوا هذه الفكرة، وعلى كل فإن التثقيف السياسي قد يكون مطلوباً من قبل الجميع لمصلحة الجميع، وهو - مع الزمن - سيدفع بالمفهوم الحزبي والممارسة الحزبية إلى المسار المتقدم والمطلوب.

سادساً: الحزب المعارض الأقرب إلى الحزب الحاكم - من بين منظومة المشترك:

لقد جاء اختيار الأحزاب الستة المذكورة في مسردنا لكونها تشكل في مجموعها ما يسمى بأحزاب اللقاء المشترك من جهة، ومن جهة أخرى لكون هذه المنظومة تضم حزبين لهما خصوصيتهما فيما يتعلق بالسلطة - وذكرياتهما، وهما: الحزب الاشتراكي اليمني، وحزب التجمع اليمني للإصلاح، وكلاهما قد شاركا المؤتمر السلطنة ذات يوم، بدءاً بحكومة المؤتمر والاشتراكي في الفترة الانتقالية ثم ائتلاف المؤتمر والاشتراكي والإصلاح في حكومة ٩٣م، ومروراً بمرحلة ما يمكن تسميته بحرب الحلفاء في صيف ٩٤م بين الاشتراكي من جهة والمؤتمر والإصلاح من جهة ثانية، والتي انتهت بخروج الأول من السلطة إلى جناح المعارضة، ثم صراع الحليفين (المؤتمر والإصلاح) والذي انتهى هو الآخر بخروج الإصلاح من السلطة ليجد نفسه بجوار الاشتراكي على مقاعد المشترك.

وقد جاء السؤال السابع من هذا الاستطلاع ليحدد لنا حقيقة الفهم لدى الناس، وقدرتهم أيضاً على التمييز بين مفهومي السلطة والمعارضة، أو بين الحزب الحاكم والحزب المعارض.

حيث جاءت النتيجة وبأغلبية ٥٢٪ لتقول أن حزب التجمع اليمني للإصلاح هو أقرب أحزاب المشترك إلى الحزب الحاكم (المؤتمر).

في حين توزعت نسبة ٣٥٪ على بقية الأحزاب في أقربيتها إلى الحزب الحاكم، وهي كالتالي:-

- الاشتراكي ١١٪
- البعث ٨٪
- الناصري ٧٪
- اتحاد القوى ٤٪
- الحق ٥٪

رحب ٤٣٪
بتعددية المنابر
داخل كل حزب
بينما رفض ٥٢٪
هذه الفكرة

الاشتراكي
والاصلاح شاركا
في السلطة،
وتجمع الإصلاح
أقرب للمؤتمر
بنسبة ٥٢٪

وفي قراءة تحليلية لهذه النتائج ندرك ما يلي:

• إما أن التجربة السابقة من التحالفات الطويلة لم تسمح بعد بتجذر مفهوم المعارضة - بين الحزب الحاكم وحليفه السابق - في الذهنية العامة، وقد لاحظنا كيف أن نسبة قليلة جداً هم من قالوا بعدم وجود تقارب بين الإصلاح والمؤتمر باعتبار اختلاف وظيفة كل منهما.. في حين أن ٥٢٪ قد أكدوا أنه الأقرب إلى المؤتمر.

• وإما أن عجز الحزب أو الأحزاب عن العمل - في غياب علاقة حميمة مع الدولة - جعل المواطن لا يجد فارقاً بين من هو داخل السلطة وبين من هو خارجها، على أنه يمكن القول بأن الغالبية التي أجابت بأن الإصلاح هو الأقرب قد عبرت - في الأرجح - عن فئتين:

- الفئة الأولى:

وهي فئة تنظر إلى الأحزاب من رؤية فكرية وليس من رؤية وظيفية، وتحكم - بالتالي - على تقاربها من خلال التوافق الفكري، وهؤلاء قد يكونون أقرب إلى الإصلاح، ولعلها - إلى جانب نظرتها هذه - تختزل في ذهنيتهما التحالف الاستراتيجي الطويل بين الإصلاح والمؤتمر، وعليه فهي لا تراهما إلا على اتفاق.

- الفئة الثانية:

ولعلها من ساهمت في رفع هذه النسبة - وهي تلك الفئة التي قد يكون لها موقف من لقاء الإصلاح مع المؤتمر، فأرادت أن تعبر عن هذا الموقف بالتأكيد على قضية التقارب، وكأنها تريد أن تقول بأن الإصلاح لا يزال أقرب إلى السلطة منه إلى منبر المعارضة، وهذه الفئة هي أقرب إلى قاعدة الأحزاب الوطنية. وبهذا التحليل يمكننا تفسير هذه النسبة (٥٢٪) العالية.

أما النسبة الأخرى (٣٥٪) والتي توزعت على بقية الأحزاب، وقالت بنسب مختلفة أنها هي الأقرب إلى المؤتمر، فقد جاءت لتعبر عن القطاع الذي لا يجذب اقتراب هذه الأحزاب من المؤتمر أو تلاقيه معها.

وهي حينما أجابت بالتأكيد على قضية التقارب بين هذه الأحزاب وبين المؤتمر أرادت أن توصل - من خلال هذا التأكيد - حقيقة رفضها لأي تقارب، بناء على قراءتها الخاصة.

وتجدر الإشارة إلى أن حزبي البعث والاشتراكي قد حصلا على نسب أعلى من بقية الأحزاب فيما يتعلق بهذا السؤال.

سابعاً: الموقف من احتمال إعادة ترشيح المؤتمر

للرئيس علي عبدالله صالح:

عندما فاجأ الرئيس علي عبدالله صالح القيادات السياسية والاجتماعية بإعلانه عدم ترشيح نفسه، شعر هؤلاء بارتباك شديد في تحديد مواقفهم من هذا الإعلان، حيث لم تسمح لهم المفاجأة بقراءته أو التعامل معه..

وبالتالي نجد أن المؤتمر الشعبي كان من أكثر الأحزاب ارتباكاً إذ سرعان ما أعلن تمسكه ببقاء الرئيس دون أن يقرأ هذا الإعلان في بعده السياسي أو أهدافه البعيدة.

الشارع لا يزال
يختزل في
ذاكرته التحالف
الاستراتيجي
بين حزبي المؤتمر
والإصلاح

المؤتمر الشعبي
كان أكثر
الأحزاب ارتباكاً
من إعلان الرئيس
عدم ترشحه

في حين جاء حزب التجمع اليمني للإصلاح في المرتبة الثانية من حيث الارتباك، إذ لم يحدد موقفه من الترحيب أو عدمه..

واستمرت هذه الحالة طوال الفترة الماضية التي أعقبت إعلان الرئيس المفاجئ إلا أن عدم قيام المؤتمر والموالين للرئيس بالتأكيد على جدية هذا القرار، قد سمح لقاعدة المؤتمر الشعبي العام بالشروع في مطالبة جدية للرئيس بالرجوع عن قراره وإعادة ترشيح نفسه، وقد اتضحت هذه الخطوة من خلال المؤتمر السابع للشعبي العام.

ونحن عندما طرحنا السؤال الثامن والتاسع من الاستطلاع كان الغرض منهما معرفة ما يلي:

١. معرفة قناعات الناس، وما إذا كانوا يرون أن المؤتمر الشعبي العام كحزب حاكم سيكون أول من يراجع الرئيس في قراره ويحاول إثباته عن هذا القرار أم لا.
٢. معرفة ما إذا كان الناس يؤيدون المؤتمر الشعبي في خطوة إعادة ترشيح الرئيس.

وقد أظهرت نتائج الاستطلاع أن الغالبية من الناس أي ما نسبته ٨٤٪ يعتقدون بأن الشعبي العام سوف يعيد ترشيح الرئيس، فيما نسبة وهي الأقل ١٤٪ تقريباً اعتقدوا بأن المؤتمر لن يقدم على هذه الخطوة ربما لأنهم يثقون في مصداقية الوعد الذي قطعه الرئيس على نفسه أمام الشعب، وربما باعتبار أن المطالبة بعودة الرئيس يجب أن تتم عبر تحرك شعبي يقوم على قناعة بما سيقوم به الرئيس من خطوات خلال الفترة المتبقية من دورته الحالية.

أما بالنسبة لموقف الناس من إعادة ترشيح الرئيس لفترة رئاسية جديدة عبر المؤتمر فالملاحظ أن الغالبية منهم ٥٣٪ هم مع هذه الخطوة، وهذه تعتبر نسبة عالية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي مرت بها اليمن خلال السنتين الماضيتين. في حين أن نسبة ٤٣٪ من المشاركين هم من قالوا بأنهم ليسوا مع إعادة ترشيح الرئيس عبر المؤتمر، وهذا يعني:

• إما أن هذه النسبة قد تأثرت -سلباً- بالأحداث التي مر بها النظام السياسي خلال العامين الأخيرين.

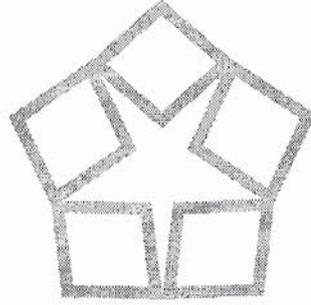
• وإما أنها لا تعارض فكرة عودة الرئيس لفترة رئاسية جديدة بقدر ما تعترض فقط على الطريقة التي يتم من خلالها ترشيح الرئيس، وهي طريقة إعادة الترشيح عبر قرار سياسي يصدر عن حزب المؤتمر.

وفي كل الأحوال فإن النتائج العامة لهذا الاستطلاع -سواء في نسبها المرتفعة أو المتدنية- قد فاجأت الفريق الذي قام بعملية تفريغ الاستثمارات، مما يعني أن كثيراً من الآراء المسبقة والاستنتاجات القائمة على الرأي الفردي قد لا تدرك حقيقة الوضع العام ولا كيف يفكر المجتمع.

وبالتالي فإن على النخب السياسية أن تعرف -ولو بقليل من التواضع- أن استنتاجاتها الواقعية في نظرها أو حسب رأيها- قد لا تكون واقعية بالفعل، لأن المجتمع والرأي العام والشارع قد يفاجئ الكثير من السياسيين بمزاجه الذي لا يمكن رصده أو متابعته إلا عبر الطرق العلمية.

عبر ٥٣٪ أنهم مع
إعادة ترشيح
الرئيس فيما
٤٣٪ ليسوا
كذلك

الرأي العام قد
يفاجئ السياسيين
بمزاجه الذي لا
يمكن رصده إلا
عبر الطرق
العلمية



مكانة السنة النبوية

والإمام الهادي (ع)



صفحات هجر العلم ومعاقله

- مراجعة نقدية -



(٢)

البُهرة في اليمن:

كيف يفكرون وماذا يعتقدون؟



الملف الفكري

مكانة السنة النبوية والإمام الهادي

عبدالله هاشم السياني

لم يختلف المسلمون يوماً ما على حجية السنة النبوية، ولا على مرجعيتها التشريعية بعد كتاب الله، سواء على مستوى مذاهبهم الفقهية أو مدارسهم الفكرية، وسواء كانوا سنة أم شيعة. **وقد** انحصر خلافهم حول إثبات صحة الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتحديد الضعيف منها والموضوع.

حتى صار لكل فرقة منهم قواعد ومعايير ومنهجية لإثبات الأحاديث الصحيحة، والتأكد من نسبتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما تأكد لديهم نسبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبلوه وأثبتوه في مصنفات خاصة..

ولذا نجد كل فئات المسلمين -بلا استثناء- وعلى مختلف مشاربهم؛ لديهم أحاديث يحتكمون إليها بعد كتاب الله، في سائر شئونهم، سواء في أمور العقيدة أو المعاملات أو العبادات، وفي كل ما يتصل بحياتهم الدينية والدنيوية..

مرجعية السنة :

ومع أن تدوين السنة النبوية، كما هو معروف، قد تأخر إلى القرن الثالث الهجري، إلا أنها كمصدر ثانٍ للتشريع كانت حاضرة في حياة المسلمين كجزء من الوحي الإلهي المكمل للقرآن الكريم، حتى قبل ذلك التدوين.

المسلمون لم
يختلفوا يوماً
على مرجعية
السنة النبوية
كمصدر ثانٍ
للتشريع

ولعل خوف المسلمين على ذلك الوحي من التداخل مع كلام الناس، وبوادٍ ظهور كلام وقصص وأحاديث على السنة العامة والوعاظ، من غير العلماء، يُنسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويتم التعامل معه كمصدر ثانٍ في التشريع، وظهور ما تم الاصطلاح عليه فيما بعد بالأحاديث الموضوعية (المكذوبة) وبطريقة ما يسمّى بالوضّاعين، وما سبق ذلك من افتراق المسلمين الذي أعقب الخلافة الراشدة وقيام الملك العضوض محلها، وحاجته إلى إيجاد قاعدة له في أوساط الناس تمنحه الشرعية الدينية التي بنى على أساسها شرعيته، ومنها انطلق في تأسيس وجوده..

كل ذلك خلق أرضية صالحة للكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكفي أن نعلم بأن بعض العلماء الذين قاموا بمهمة تدوين الأحاديث وغربلة الصحيح من المكذوب قد قال كثير منهم أنهم استخرجوا الأحاديث الصحيحة من مئات الآلاف من الأحاديث التي كانت متداولة في المجتمع الإسلامي.

جميع ذلك كان وراء حركة التدوين التي ظهرت في البيئة الإسلامية العامة والتي حرص أصحابها أن يتشددوا في وضع المعايير التي تمكنهم من معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها، كما فعل البخاري في شروطه، وكذا مسلم وبقية أصحاب السنن وأصحاب المسانيد، قبلهم أو بعدهم. وإلى اختلاف تلك المعايير يعود الفضل في الحفاظ على هذا الكم الكبير من السنة المطهرة..

دور أهل البيت :

كما أن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومدرستهم، التي عرفت باسم الشيعة، قد دونوا السنة من وقت مبكر، ورووها بأسانيدهم الخاصة والمتصلة بأهل بيت النبوة، وحفظوها في كتبهم كما فعل غيرهم من المسلمين، إن لم يكونوا قد سبقوا غيرهم إلى ذلك، كما تحكي كتبهم وتؤرخ له.. وكانوا أكثر فرق الأمة في القرون الأولى استخداماً لمصطلح (السنة)، وأكثرهم دعوةً للالتزام بمرجعية ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاداً به، وقرنه بكتاب الله..

دور أهل البيت
السنة النبوية
من وقت مبكر
بأسانيدهم
المتصلة

وكتبهم الكثيرة شاهدة على ذلك، والرسالة التي للإمام الهادي (ع) في هذا المجال، والتي سوف نتناولها في هذا المقال، خير شاهد على ذلك..

مصطلح السنة :

يظن البعض أن مصطلح أهل السنة له علاقة بمرجعية السنة النبوية كمصدر ثانٍ للتشريع، بل ويذهب بعض عامة الناس إلى الاعتقاد بأن الذي لم يدخل في عموم أهل السنة له موقف من السنة المطهرة! وهناك اليوم من أضاف إلى تلك التسمية (الجماعة) فأصبح أهل السنة والجماعة، تعبير عن فئة من المسلمين لها عقائدها الخاصة، التي من أهمها عملهم بظاهر نصوص السنة الشريفة ورمي غيرهم بعدم العمل بها أو التشكيك فيها.

ويكفي لتوضيح خطأ هذا الاعتقاد وهذه المقولة أن يسأل المسلم نفسه: كيف يصلي الآخرون ويصومون ويحجون ويذكرون، ويتزوجون، ويبيعون ويشتررون، وهم الذين ليسوا من أهل السنة كفرقة.. أليس أكثر من ٩٠٪ من أحكام تلك العبادات والمعاملات قد جاءت في الأحاديث النبوية ولم تأت في القرآن الكريم، المصدر الأول للتشريع.

ومن هنا سيعرف بأن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع عند غيره، إلا أن معايير الصحة في الأحاديث تختلف عما لديه، أو ليس يروي مسلم في صحيحه أحاديث لم يروها البخاري في صحيحه، نظراً لاختلاف معايير وشروط الصحة لديهما، وهما من فرقة إسلامية واحدة؟

كما أن الترمذي وابن ماجه وأبي داود قد تفرد كل منهم بأحاديث، ولكل واحد منهم معايير وشروط خاصة به في الحكم على صحة الحديث أو ضعفه. ثم جاء أهل الجرح والتعديل ووضعوا قواعد ومعايير خاصة أعادوا من خلالها النظر في رجال وأسانيد الأحاديث المروية في كتب الحديث، واختلفوا في الحكم على الرواة من حيث العدالة والجرح، فصححوا أحاديث ضعيفة، وحكموا بضعف أحاديث صحيحة، رغم أن الجرح والمعدل من نفس المدرسة والمذهب، كما فعل الألباني في تصحيحه لكتب الحديث..

إذن فموضوع الاختلاف في صحة الأحاديث وفق قواعد ومعايير متعددة لا يعني اختلافهم على مرجعية السنة النبوية كمصدر ثان للتشريع، وكونها جزء من وحي السماء الواجب العمل به، فالفرق بين هذا وذاك كبير وواضح..

تداعيات:

بعد تدوين الأحاديث النبوية من قبل جميع المسلمين باختلاف مذاهبهم ومدارسهم، بدأت قضية الأحاديث الصحيحة التي قالها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأعماله التي قام بها، أو أقر أحداً عليها، تظهر على السطح، وبدأ المسلمون يختلفون حولها..

وبدأ الخلاف حول السنة يأخذ مكانه بين المسلمين، وخاصة بين أهل الحديث وبقية الفقهاء، وارتكز ذلك الخلاف حول رواة الأحاديث جرحاً وتعديلاً، وحول متونها تفسيراً وتأويلاً.. الخ.

وهنا ظهر موضوع الصحابة رضوان الله عليهم، وأهل بيت النبوة عليهم السلام، لأنهم جميعاً كانوا مصدر السنة النبوية..

فذهبت فرقة من المسلمين إلى القول بأن جميع الصحابة عدول في رواية الحديث، واعتبروا كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو للحظة واحدة، يصدق عليه هذا الاسم، ويدخل ضمن الصحابة المنصوص عليهم في القرآن والسنة، والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولا يجوز التشكيك في عدالتهم ولا رد الأحاديث المروية عنهم.

في حين قال طرف آخر من المسلمين بأن الصحابة الذين تقبل روايتهم للحديث، ونقل الدين عن طريقهم، هم الذين وقفوا مع الإمام علي وشايعوه، كون أهل البيت هم قرناء كتاب الله وحملة السنة النبوية وورثة النبوة في تبليغ الدين، وبهذا التصنيف خرج عدد غير قليل من الصحابة رضوان الله عليهم من دائرة الصحابة الذين تقبل روايتهم للأحاديث النبوية.

مصطلح أهل السنة والجماعة
تعبير عن فئة من المسلمين لها
طريقتها الخاصة
في فهم النصوص

ارتكز الخلاف
بين المسلمين
حول رواة
الحديث جرحاً
وتعديلاً، ومنتته
تفسيراً وتأويلاً

هناك ثلاثة آراء حول عدالة الصحابة في رواية الحديث النبوي ونقل الدين

بينما قال طرف ثالث أن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين زكاهم القرآن ورضي الله عنهم، وأشاد بفضلهم، ويدخل تحت هذا التعريف كل السابقين من المهاجرين والأنصار بلا استثناء، كما يدخل في هذا التوصيف بقية الصحابة الذين لم يُعرف عنهم انحراف عن الدين بعد موت رسول الله، وماتوا على ما كانوا عليه، وبهذا التعريف خرج من الصحابة كل من أحدث في أمر الدين، أو ظهر عليه الانحراف أو رجع عما كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الأقل، وبهذا الرأي تقول الزيدية.

ونتيجة لهذا الخلاف حول تعريف من هو الصحابي الذي تقبل روايته للحديث، ظهرت أهم وأول الأسباب التي جعلت المسلمين يقبلون بعض الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو يشككون في صحة نسبتها إليه. ثم تطور الخلاف ليشمل كل أسماء الرجال الذين نقلوا الأحاديث النبوية عن الصحابة رضوان الله عليهم، ابتداءً من التابعين فالتابعين فمن بعدهم.. الخ، وعلى ضوء علم الجرح والتعديل، الذي اختص بتعديل رواة الأحاديث، والذي وضع شروطاً عديدة لراوي الحديث؛ من الحفظ والضبط والعدالة.. إلى آخر تلك الشروط، والتي دخل فيها فهمه للدين، وموقفه من الخلافات التي حدثت بين الصحابة، وعلى رأسها خروج معاوية علي خلافة الإمام علي عليه السلام، وشقعه عصا المسلمين، وتأسيس الملك على أنقاض الخلافة الراشدة، واعتبار موقف الراوي من كل ذلك أساس الحكم على كذبه وتجترئه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو عدم كذبه وتجترئه.

وفي هذا الإطار تم تصنيف المسلمين إلى سنة وشيعة، وأصبحت هذه الصفة جزءاً من عدالة الراوي، وهكذا اختلف أهل الحديث في صحة الأحاديث وقبولها، بناء على انتساب أحد الرواة إلى إحدى فرق المسلمين.

وظهرت لدى بعض علماء الجرح والتعديل نزعة في تضعيف كل حديث وجد بين رواته من اتهم بمحبة الإمام علي وأهل بيته، وفي المقابل تم رفض كل حديث في سنده رجل عرف بموالاة معاوية ومعاداة أهل البيت.

وبدت الزيدية في رأيها المتصل بموضوع عدالة الراوي من أعدل فرق المسلمين ومناهجهم، إذ اعتبرت أن كل مسلم عدل، ويجب قبول روايته، ويحاكم للشروط العامة التي وضعها المسلمون لضمان صحة نسبة الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي ظل هذا الخلاف على عدالة الراوي اتسعت مساحة الحكم على الأحاديث الضعيفة والصحيحة عند كل طرف من المسلمين، فصارت الأحاديث التي في روايتها شيعي، مطعون فيها، وصارت الأحاديث التي فيها سني مطعون فيها أيضاً، بناء على معايير عدالة الراوي التي اختلفوا حولها.

وانتقل المسلمون من الخلاف على سند الحديث، إلى الاختلاف في متنه، وفهم معناه، واستنباط الأحكام منه، ومع أن علم أصول الفقه الذي ابتدعه المسلمون قد حدد القواعد ومنهجية استنباط الأحكام من الكتاب الكريم أو من السنة المطهرة، إلا أنهم صاروا مدارس عديدة في ذلك..

ومع أن اختلاف المسلمين حول معاني السنة النبوية قد أثرى الأحكام الشرعية التي قدمت للمسلمين الحلول الفقهية في كل جوانب حياتهم، حيث ما

تم تصنيف المسلمين إلى سنة وشيعة وأصبحت هذه الصفة جزءاً من عدالة الراوي

كانوا وفي ظل الأزمنة والظروف المختلفة، إلا أن خروج بعض المسلمين عن تلك القواعد والمنهجية، وعدم وضع اعتبار لموضوع استخدام العقل في قراءة معاني الحديث، والوصول إلى مراد الشارع، وقراءة الأحاديث قراءة لا تضع لذلك اعتبار ولا لموضوع الواجب والمندوب، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، الخ، جعلهم يضعون أسساً جديدة لمن يريد أن يزيد من الشقة والخلاف بين المسلمين، ويزيد من حالة خلافاتهم حول فهم السنة النبوية، وطريقة الالتزام بها والعمل بموجبها.

وعلى أساس تلك الخلافات بدأ كل طرف يشكك في إيمان الآخر، وصحة معتقده، كونه من وجهة نظره لا يعمل بالسنة، التي صحت لديه وعنده، وادعى كل طرف أنه وحده الذي يعمل بالسنة النبوية الصحيحة.

وقد استغل الحكام ومنذ تحول الخلافة الراشدة إلى ملك قيصري هذه الآراء ووظفوها لصالحهم واستخدموها للتفريق بين المسلمين، وإضعاف الأطراف التي تعارض سياستهم أو تنتقد تصرفاتهم المعارضة للكتاب والسنة.

وللأسف أن طبيعة الخلاف الفكري والمنهجي الذي حدث حول تدوين السنة وإثبات صحة الأحاديث، لم يحصر في أصله، بل تحول إلى أداة طعن وتشكيك في إيمان المسلمين بعضهم البعض، حتى وصل إلى الطعن في إسلامهم وإخراجهم منه، والحكم عليهم بالكفر، الذي ترتب عليه استباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وإدخال المسلمين في الفتنة التي دخلها المتدينون من أصحاب الرسالات السماوية من قبلهم، من اليهود والنصارى، والتي حكاها القرآن الكريم للنهي عن الوقوع فيها، حيث يصف الله تعالى حالة العداوة الذي وقع فيه اليهود والنصارى بقوله: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) [البقرة: ١١٣].

وفي ضوء هذا السياق نستطيع فهم طبيعة الصراعات التي حدثت بين المسلمين، وارتكزت على موضوع العمل بالسنة من عدم العمل بها، كما نستطيع من السياق ذاته فهم مغزى الصراعات القائمة اليوم تحت مسمى السنة والشيعية..

وللأسف أن البعض يحاول إدخال اليمن واليمنيين في أتون المعارك المذهبية، التي تحركها في الغالب أهداف خفية، تتصل بالصراعات السياسية، الداخلية أو الخارجية، وإن بدت في طرحها وخطابها وكأنها صراع إسلامي حول تحريف الإسلام أو الاستقامة عليه، مع أن اليمن واليمنيين وطوال تاريخهم الإسلامي لم يعرفوا الصراعات المذهبية المرتكزة والمنطلقة من الخلاف على السنة النبوية أو على غيرها من الآراء الفقهية والكلامية، رغم وجود عدد من المذاهب فيها من القرون الأولى، كالمذهب الشافعي والإسماعيلي والزيدي والأباضي، وإن عرفت الصراع السياسي على السلطة بين نخب وقيادات تلك المذاهب، إلا أن من الحقائق المعروفة عند اليمنيين، بكل اتجاهاتهم المذهبية؛ أن تلك القوى التي تمثل تلك المذاهب، عندما كانت تستولي على حكم اليمن، لا تقوم بفرض مذهبها على بقية اليمنيين، ولا تستخدم سلطتها في التضييق أو إلغاء المذاهب الأخرى، وهذه

**خروج البعض
عن قواعد أصول
الفقه يزيد من
الشقة والخلاف
بين المسلمين**

**هناك من يحاول
إدخال اليمن في
أتون المعارك
المذهبية التي
تحركها أهداف
خفية**

الصفة في اليمنيين لم تكن محصورة في مذهب معين، أو منطقة معينة، أو فئة بذاتها.. فالصليحيون الذين حكموا اليمن، وهم الذين ينتمون إلى الاسماعيلية مذهباً، والفاطمية دولة، لم ينقل التاريخ لنا حادثة واحدة تذكر بأنهم خلطوا بين صراعهم على السلطة ووصولهم إليها، وبين حقهم في نشر مذهبهم واستخدام سلطات دولتهم في إرغام بقية اليمنيين على اعتناقه، أو التضييق على أصحاب المذهب المنهزم والعمل على إضعافه.

**الدولة الزيدية
لم تعمل على فرض
مذهبها على
المناطق الشافعية
التي كانت تحت
سلطتها**

كما أن الدولة الزيدية عندما حكمت اليمن لم تعمل على فرض مذهبها على المنطقة الشافعية التي دخلت تحت سلطتها، بل عملت على قمع التعصب الذي قد يفرق بين أبناء اليمن ويفكك وحدة المجتمع اليمني، وبالمقابل فإن الدولة الرسولية، الشافعية مذهباً، عندما كانت في أوج قوتها وخضعت لسلطتها كثير من المناطق الزيدية، لم توظف قوة الحكم في إرغام المنطقة الزيدية على التخلي عن مذهبها أو توجع الصراع المذهبي بين أبناء الوطن الواحد، وتدعم التعصب القائم عليه والمنطلق منه..

باختصار نستطيع القول بأن الصراع على السلطة الذي كان قائماً بين اليمنيين على اختلاف مذاهبهم ظل محصوراً على الحكم، وفي إطار الصراع السياسي، ولم يتحول يوماً ما إلى صراع مذهبي يدخل ضمن موازنات السلطات المتصارعة، ولم ينتقل إلى صفوف الناس وحركة المجتمع، أو يظهر في مؤلفاتهم وتجمعاتهم ومساجدهم، أو ينتقل إلى قبائلهم ومناطقهم.

ولعل أكبر شاهد على ذلك بقاء المذهب الشافعي والزيدية والاسماعيلية في اليمن إلى اليوم بعد أكثر من ألف عام على دخولها إلى اليمن، ولعل الحالة الوحيدة في تاريخ اليمن في هذا الجانب، هي انحسار وغياب المذهب الإباضي، الذي كان متواجداً في المحافظات الجنوبية، من عدن وحتى حضرموت، والذي يذكر لنا التاريخ، بأن انحساره وغيابه لم يكن العامل الأساسي فيه هو العنف واستخدام القوة، بل كانت الحجة والحوار والنقد، هي المهيمنة على تلك المعركة، وذلك بعد أن كسر الإمام المقدم، حفيد الإمام المهاجر، السيف إيذاناً بانتهاء العنف والقتال كوسيلة للصراع بين المسلمين، وتحت هذه الراية البيضاء المسالمة ومنهجها، حل المذهب الشافعي محل المذهب الإباضي، في حركة مدنية متقدمة، نجعل الكثير من تفاصيلها.

**لم يقاتل الإمام
الهادي
الاسماعيلية
لمذهبهم بل
لقتلهم عامله
ونكثهم لبيعتهم**

وهنا لا بد وأن نطرح تساؤلاً: لماذا لم يكن الصراع المذهبي جزءاً من الصراع السياسي ومرتبطاً به في حياة اليمنيين وتاريخهم الإسلامي؟ وهل يعود ذلك إلى فهم وطبيعة ومنهجية تلك المذاهب للإسلام وتحررها من التعصب وخلوها من فكرة إلغاء الآخر؟ أم أن ذلك يعود إلى الطبيعة والخصائص العامة للشخصية اليمنية؟

قد يقول قائل أن هناك صراعاً مذهبياً وقع بين الزيدية والاسماعيلية، كما تذكر ذلك سيرة الإمام الهادي، وفي أزمنة مختلفة أخرى، والحقيقة أن الإمام الهادي (ع) لم يقاتل الاسماعيلية في نجران إلا بعد نكثهم ببيعتهم، وقتلهم عامله عليها، وكان قتاله لهم لخروجهم على سلطان دولته، لا لكونهم يعتنقون ذلك المذهب، وإلا لما قبل بيعتهم ودعاهم إليها منذ وصوله إلى اليمن لو كان يرى وجوب قتالهم لمذهبهم..

والأئمة في اليمن من بعده كانوا يسيرون على خطاه وهداه، وإن وجدت أحداث أو مواجهات نادرة أخرى، فهي بسبب خروج أهل تلك المنطقة أو القبيلة على الإمام والدولة، أو لعدم خضوعهم لها، بغض النظر عن مذهبهم أو أفكارهم.

وقد استمرت حالة التعايش الفريدة بين أبناء المجتمع اليمني على اختلاف مذاهبهم حتى بعد سيطرة الامبراطورية العثمانية على اليمن لقرون عديدة، وهي المعروفة بتمسكها الشديد بالمذهب الحنفي، وتعصبها تجاه فرق الشيعة ومذاهبهم، وكان من الطبيعي أن تحدث شرخاً مذهبياً داخل المجتمع وتستفيد من التنوع المذهبي في اليمن، وتؤجج الصراع بينهم من خلاله، وتستريح من مواجهة المقاومة العسكرية اليمنية التي وقفت في وجهها، بدعم فريق وفئة تجاه الفريق والفئة الأخرى، إلا أن ذلك لم يحدث، وظلت المواجهة محصورة بين جيوش الامبراطورية العثمانية القادمة من الخارج، والتي كان بعضها ينتمي إلى بعض الدول العربية، وبين المقاومة المسلحة اليمنية.. وهكذا لم يعرف اليمنيون في تاريخهم؛ الصراع المذهبي، وإن عرفوا الصراع على السلطة والدولة.

الإمام الهادي

كان الإمام الهادي عليه السلام أكبر شخصية يمنية ورمز تاريخي تعرض للإساءة والتعريف من قبل من يزعمون بأنهم أنصار السنة والداعين إليها، وقد ذكر الشيخ مقبل الوادعي أحد قيادات هذا الفريق أن اليمن كانت بلد سني حتى جاء الإمام الهادي (ع)، وبتهم التشيع والاعتزال الذي يقول بأن الإمام الهادي (ع) قد أتى به إلى اليمن، بأنه الذي حارب السنة وعمل على عدم نشرها، ولم يقد بتدريسها.. إلى آخر التهم الكثيرة التي نشرها تلامذته والمتأثرين بالسلفية داخل الأخوان المسلمين..

ولعل التركيز على الإمام الهادي (ع) الذي يعده المسلمون بمختلف مذاهبهم أحد الأئمة العظام من أهل البيت، كما تذكر ذلك ترجماتهم، يهدف إلى التشكيك في المذهب الزيدي، في خطوطه العامة والأصيلة، وإلى نزع الثقة منه ومن أتباعه الذين يقبلون بالآخر ولا يجدون حرجاً من التلقي منه..

وسيكتشف القارئ بعد معرفته لمكانة السنة عند الإمام الهادي، مدى الجهل الذي يحمله هؤلاء، ومدى غربتهم عن الفكر اليمني الأصيل، الذي كتب من قبل أكثر من ألف ومائتي عام، وسيعرف بلاشك طبيعة ودوافع الإساءة التي يتعرض لها الإمام الهادي (ع)، وأن لا علاقة لهؤلاء بالدفاع عن السنة وعن الدين، وأنهم يحملون أهدافاً سياسية بوعي أو بدون وعي، لأن من المعروف بين المسلمين وبين الفكر الإنساني العالمي أن انتقاد فكر أي شخص يتطلب معرفة تفكيره وأقواله حتى يتم انتقاده، أما حينما يتم انتقاد شخص وتجريحه دون الاطلاع على كلامه وكتبه فإن ذلك يوحي بأن هناك أزمة أخلاقية ودينية لدى من يقوم بذلك التجريح..

للإمام الهادي كتابات منشورة في أغلب مصنفاته عن السنة ومكانتها والدفاع عنها، وهو الذي وصل إلى اليمن عام ٢٨٤ هـ، للمرة الثانية، أي أنه كتبها في نهاية القرن الثالث في الوقت الذي لم تنشر فيه بعد كتب الحديث لدى

استمرت حالة
التعايش بين
اليمنيين على
اختلاف مذاهبهم
حتى بعد سيطرة
العثمانيين

الإمام الهادي (ع)
أكبر شخصية
يمانية تعرضت
للإساءة من قبل
أدعياء السنة

المسلمين أو تعرف بشهرتها كما هي اليوم.

وله في هذا الباب رسالة خاصة بالدفاع عن السنة بعد أن سأله أحدهم عن مكانة السنة وشكك في نسبتها إلى الله، كوحى من السماء، مثلها مثل القرآن، فرد عليه الإمام الهادي عليه السلام، في تلك الرسالة، ومما قال فيها: (والسنة، فهي سنة الله عز وجل، وإنما نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مجاز الكلام إذ هو المبلغ لها، والآتي عن الله سبحانه وتعالى بها، كما يقال للقرآن كتاب محمد، وكما يقال للإنجيل كتاب عيسى، وكما يقال للتوراة كتاب موسى..)، وهذا موقف متقدم على موقف من يدعي أنه من أنصار السنة اليوم..

للإمام الهادي رسائل منشورة في مصنفاته دافع فيها عن السنة ومكانتها

كما أن الإمام الهادي قد سُئل: هل كل ما يحتاجه المسلمون موجود في الكتاب والسنة؟ فرد أيضاً برد طويل ومما قال فيه: (إن أصل كل حق وهدى، وقياس كل حكم أبدأ، في الكتاب والسنة)، ويقول: (كتاب الله تبارك وتعالى المحكم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللذان قصدهما حجة الله القائمة، ونعمته الدائمة، فمن اتبعهما في حكمهما، واقتدى في كل أمر بقدهما، وكان قوله بقولهما، وحكمه في كل نازلة بهما فهو المصيب في قوله، المعتمد عليه في علمه، القاهر لغيره في قوله، الواجب على جميع المسلمين من آل رسول الله ومن غيرهم أن يرجعوا إلى قوله، ويتبعوا من كان كذلك على علم لأنه على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه).

وضمن كتاب (المجموعة الفاخرة) للإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، المطبوع في عدة طبعات، ولأكثر من دار نشر، رسالة يقول فيها:

كتاب تفسير معاني السنة

والرد على من زعم أنها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله علام الغيوب، البري من كل نصب ولغوب، الواحد العلي القدوس الأزلي، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطحها، خالق المخلوقين، ورب المربوبين، وباعث الموتى، ومبتدئ الأحياء، العالم بخفيات سرائر الغيوب، المطلع على غوامض سرائر القلوب، المتعالي عن القضاء بالفساد، المتقدس عن اتخاذ الصواحب والأولاد، الأمر لعباده بالرشاد، الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، الواحد الأحد العليم الخبير.

أحمدته على ما من به فينا، وتفضل به سبحانه علينا من ولادة النبيين، ووراثه علم المرسلين، ونشكره على ما خصنا به وجعلنا بفضل من أهل القيام بحجته، والدعاء لخلقه إلى ما افترضه عليهم وأوجه إيجاباً مؤكداً فيهم، من الأمر بأمره، والنهي عن نهيه، والحكم بكتابه، والاتباع لدينه، والمجاهدة لمن جاهده، والمعاضدة لمن نصره، والمعاضدة لأعدائه، والموالاة لأوليائه، والقيام بأكبر فروضه قدراً، وأعظمها لديه خطراً، وهو الجهاد في سبيله، والمباينة لمن عَدَدَ عن دينه، وفي ذلك ما يقول جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [التوبة: ١١١]، ثم قال تبارك وتعالى فيما يذكر من تعظيم ما ذكرنا من الجهاد الكريم:

يرد الإمام الهادي في كتاب تفسير معاني السنة على من زعم أنها من رسول الله (ص)

لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً [النساء: ٩٦]، ثم قال سبحانه فيما أمر به عباده من النفير في سبيله، والإحياء لشرائع دينه: (انفروا خفاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) [التوبة: ٤١]، ثم قال تخويفاً للقاعدين وإعذاراً وإنذاراً للمتربصين واحتجاجاً على المتخلفين عن واجب ما أوجب أحكم الحاكمين، وتبييناً لفضل المنابذين لمن نابذ شرائع الدين، وجهد في إبطال الحق اليقين، وكان ضداً مدافعاً للحق، وكهفاً وسندا للفسق: (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) [التوبة: ٣٩].

ثم ذكر سبحانه فذم ذا التعللات وأهل التأويلات الباطلات، فأخبر أنه لا عذر لهم فيما به يعتذرون، ولا حجة لهم فيما فيه يتأولون من التعلق بالشبهات والتسبب لمنال الفكاهات، والتلذذ بمقارنة الأولاد والزوجات، وجمع الأموال من التجارات، فقال سبحانه تحذيراً لهم، وتنبيهاً عن وسنتهم، وتيقظاً لهم من رقتهم: (قل إن كان أبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) [التوبة: ٢٤]، ثم سمي من كان كذلك أو ضرب لنفسه تأويلاً في ذلك فاسق، وأوجب لهم ما أوجب للفاجر من عذاب الجحيم، والخلود في العذاب الأليم، ثم قال سبحانه ترغيباً لعباده المؤمنين، وإخباراً لهم بما أعد لهم على الجهاد من الثواب المبين: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) [الصف: ١٠-١٣]. صدق الله سبحانه إن ذلك للتجارة الكبرى، والكرامة الجليلة العظيمة، والحظ العظيم، والأمر الجسيم، الذي جل ذكره، وعظم قدره، وحسن - عند الله مآب فاعله، وجل لديه سبحانه خطر القائم به. جعله له سبحانه مؤتمناً على خلقه، ومرشداً إلى أمره، خصه بخواص من الكرامة الكاملة، وأعطاه العطية الفاضلة، وجعله حجة شاملة، ونعمة على الخلاق دائمة، فنسأل الله إيزاع شكره، وبلوغ ما نؤمل من طاعته، فإن ذلك أفضل ما أعطى الخلق من العطاء، وأعظم ما بلغه بالغ من الرجاء.

ونسأل الله أن يصلي على محمد عبده ورسوله المصطفى، وأمينه المرتضى، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وصفوته من بريته، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثم نقول، من بعد الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

أما بعد، فإننا نظرنا في أمور هذه الأموات أسبابها، وقلبنا ما قلبنا من حالها

يذم الله سبحانه
وتعالى أصحاب
التعللات وأهل
التأويلات
الباطلات

نسأل الله إيزاع
شكره وبلوغ ما
نؤمل من طاعته
فإن ذلك أفضل
ما أعطى الخلق

وأخبارها، وافتراق أقاويلها، وفساد تأويلها، وقلة ائتلافها، فوجدنا أموراً تدل على أنها ضيعت ما به أمرت، حتى صعب قيادها، وكثر حيادها، وقل فهمها، وكثر تخليطها، وصار لكلها قول مقول، وعمل فادح معمول، ينفر منه القلب الجهول، فضلاً عن أهل المعرفة والعقول.

وجدنا الأمة
ضيعت ما به
أمرت حتى قل
فهمها وكثر
تخليطها

كان من أنكر قولها وأعظم جهلها ما قالت به في الله سبحانه، فرمت به لجهلها رسوله، فزعمت لعظيم غفلتها وعامر رقدتها أن دينها الذي به تعبدوا ربها كتاب ناطق مضي، وسنة جاء بها من نفسه النبي، شرعها من ذاته، وتخيرها للعباد بنظره، لم يأمر بها الرحمن، ولم تنزل عليه في أي القرآن، فزعمت بذلك من قولها، فلزمها في أصل مذهبها وحقاق بها في جميع قولها أنها زعمت فيما ذكرت وقالت: إن الله وكل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الدين إلى نفسه، ولم يشرع له كلما يحتاج إليه من فرضه، كأن لم يسمعوا الله سبحانه يقول فيما نزل على نبيه من القول: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام: ٣٨]، ويقول سبحانه: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل: ٨٩]، وكان لم يسمعوا قوله: (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) [العنكبوت: ٥١]، فأخبر سبحانه بقوله: (أولم يكفهم)، أن فيما نزل من تبيان ونوره وبرهانه كفاية لهم، في كل ما افترض عليهم، ولو كان ترك شيئاً مما يحتاجون إليه لم ينزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وعلى لسان جبريل، لم يقل: (أولم يكفهم)، فدل بما شهد به من الكفاية لهم على أنه لم يكمل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى استخراج شيء مما افترض عليهم وعليه، وأنه لم يترك شيئاً من فرائضه، ولا شرائع دينه إلا وقد أوحى به إلى رسوله وحياً، ونزل عليه به نوراً وهدى، فلم يكف هذه الأمة ما نزل الله فيما ذكرنا من الحجج حتى قالت: إن كل فرع مفرع مما فرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو منه اختياراً وتمييزاً من نفسه، وإن ذلك ليس هو من ربه، من ذلك ما قال الله سبحانه في الصلاة الموجبة، والزكاة المفترضة، حين يقول: (فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) [المجادلة: ١٣]، فزعمت هذه الأمة فيما ذكرت، وبه على الله سبحانه اجترأت، أو من قال بذلك منها، أنه لم يكن من الله جل جلاله، وعظم عن كل شأن شأنه في الصلاة غير ما أمر به من إقامتها، وأنه لم يجد لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من حدودها، ولم يوقفه على ما به كمالها من ركوعها وسجودها وعدد ركعاتها، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخترع ذلك من نفسه، وسنه لأمته، وجعله ديناً لها من ذاته، وأن شرائع الزكوات وما به تجب الزكوات في الأوقات المفروضات الموقوتات، وما يؤخذ من الأموال الصائمة، والأنعام السائمة، والأطعمات، وما يجب في التجارات من الأعشاش وأنصافها، وما حدد في ذلك كله من الحدود المعروفة، وأوقف عليه في كل ذلك من الأفعال المفهومة، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا من الله، وأن ذلك شيء فعله برأيه، واختاره بتمييزه، وفعله باجتهاده، وفرضه على أمته دون خالق المخلوقين وإله العالمين، وكذلك قالوا في جميع الفرائض المفروضة والفروع المتفرعة، فزعمت هذه الأمة، أو من قال بذلك منها، أن ما كان في الكتاب ناطقاً موصولاً فهو من الله فرض مفترض، وما

لم يترك شيئاً
من فرائضه ولا
شرائع دينه إلا
وقد أوحى بها
إلى رسوله

كان من تفريع الأصول وتمييز ما ميز صلى الله عليه وآله وسلم من الفصول فإنه منه لا من الله، وأنه فعله لا فعل الله، ثم سموا ذلك الفرع سنة، وأخرجوا معنى السنة من الفريضة، وتوهموا أن ذلك كما قالوا، ولم يعلموا ما عليهم في ذلك حتى حكموا به وسموه كذلك، فلما عظم الأمر، وجل الخطر، ورأينا الهلكة واقعة بهم، والضلالة شاملة لهم، رأينا أن نفسر معنى قول القائل سنة، ونشرح ما السنة، وكيف كان تفريع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرع من الأصول المنزلة التي جاءت في كتاب الله سبحانه مجملة، فقلنا:

إن رسول الله عليه السلام لم يكن ليخترع أمراً دون الله سبحانه، وأنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم حين يقول: (إن أتبع إلا ما يوحى إليّ) [الأعراف: ٢٠٣]، وكما قال عليه السلام حين يقول: (وما أنا من المتكلمين) [ص: ٨٦]، ونقول إن الله سبحانه لم يكل شيئاً من ذلك إلى نبيه بيتدعه ولا يشرعه ولا يفرضه ولا يشبته؛ إذا لقد كلفه الله شططاً من أمره، وألزمه معوزاً من فعله، بل القول في ذلك المبين، والحقq البين اليقين أن الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، أصل أصول فرائضه من الدين، وبينه لجميع العالمين، فكانت أصول الدين في الكتاب كلها، وجاءت الفصول مفصولة والفروع المفرعة إلى النبي عليه السلام من الله ذي الجلال والإكرام على لسان الملك الكريم جبريل الروح الأمين، فنزل بشرائع الدين وتفريع أصول القرآن المبين على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما نزل عليه السلام بالأصول إليه، وكان نزوله بالفروع مفرعة، كنزوله بالأصول المجملة المجتمعة، وأدى جبريل الروح الأمين إلى محمد خاتم النبيين فروع شرائع الدين، عن الله رب العالمين، كما أدى مجملات أصول القرآن المبين.

والسبب في تفريق ذلك من الله، فنظر من الله لبريته، وعائدة على خلقه، ولطف في فعله وصنعه، وتقوية لمن أراد حفظ كتابه، وحمل ما نزل من وحيه وبيانه، فخفف عنهم في الكتاب، وأعانهم بذلك في كل الأسباب، ففرق بين الأصول الموصولة والفروع المفرعة، فجعل الأصول في الكتاب مجملة جاء بها جبريل، وجعل الفروع في غير الكتاب جاء بها أيضاً جبريل، فكل من الله وحي مبين، وتفصيل وفرض منه سبحانه وتنزيل، بعث بهما كليهما رسولا واحداً ملكاً عند الله مقرباً أميناً مؤتمناً، فأدى إلى الرسول عليه السلام ما به أرسل إليه، وتلى عليه من ذلك ما أمر بتلاوته عليه، فكان ذلك من الله فرضاً مميّزاً، وديناً من الله مفترضاً لم يكن لرسوله فيه اختيار، ولم يشرع لأمته من دين الله إلا ما شرع الله، ولم يأمرها إلا بما أمرها الله، ولم ينهها إلا عما نهاها الله.

ذكر تفاصيل من الصلاة والزكاة:

من ذلك ما قلنا به من قول الله: (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فنزلت هاتان اللفظتان في القرآن موصولتين، وجاءتا فيه مجملتين، فاحتملت الصلاة أن تُصلّى قليلاً وكثيراً إذ جاء ذلك مجملاً، ثم فسّر الله ذلك على لسان جبريل كما نزل على لسانه القرآن الجليل، فجعل الله الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والعتمة أربعاً، والصبح اثنتين، فبين لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تفسير ما جاء في كتابه مجملاً من أمره بالصلاة جزماً، ولم يكله إلى أن يتكلمه في ذلك تكمها، ولا أن يتخبط فيه صلى الله عليه وآله وسلم تخطباً،

أخرجوا معنى
السنة من
الفريضة
وتوهموا أن ذلك
كما قالوا

أدى جبريل
الأمين إلى محمد
(ص) فروع
شرائع الدين عن
الله

بين الله تعالى
لنبيه (ص) ما
جاء في كتابه
مجملاً من أمره
بالصلاة

وكذلك لما أن قال سبحانه: (وأتوا الزكاة) احتمل أن تؤخذ من كل دينار ودرهم، وشاة وجمل، ومد ومكوك، ومن الفقير والغني، ومالك ألف شاة ومستغل ألف مد، ومستغل مد، وصاحب ألف دينار وصاحب دينار لأنه سبحانه يقول: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) [التوبة: ٣٠١]، ولم يفسر فيما أنزل من القرآن كم يأخذ من كل إنسان مالك الحقير والقليل، ومالك الكثير والجليل، ثم فسر سبحانه على لسان الملك الذي نزل بالقرآن من عند الواحد الرحمن ما يجب من الأموال، وما يؤخذ من أهلها في كل حال، وما يجب على المالك المؤسر، وفي كم تسقط عن المالك المعسر، وكم هي وكيف هي، حتى سنن أسنان مواشيها، فجعلها سناً سناً في عدد معروف معلوم، وكذلك فيما يكال ويوزن من الوزن والكيل المفهوم.

ذكر تفاصيل الدية

وكذلك قال تبارك وتعالى في الديات فقال: (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) [البقرة: ١٧٨]، وقال سبحانه: (ومن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان)، فقال: (عفي)، يريد: عفي عن القتل إلى الدية، ثم أمر بأداء الدية إلى من عفي إذا قبل الدية وأرادها، ثم قال سبحانه في موضع آخر: (فدية مسلمة إلى أهله) [النساء: ٩٢] في قتل الخطأ، فأوجب الدية، وقال في موضع آخر: (والجروح قصاص) [المائدة: ٤٥]، فجعل في جروح العمد القصاص كما جعل القود في قتل العمد، وجعل الديات في جروح الخطأ، فأنزل ذلك في الكتاب مجملاً، ولم يجعله مشروحاً مفسراً، ثم بينه على لسان نبيه وفسره، وجعل الدية ألف مثقال في أهل الذهب، وعشرة آلاف درهم قفلة في أهل الدراهم، وجعلها ألفي شاة في أهل الغنم، وجعلها مائتي بقرة في أهل البقر، ومائة من الإبل في أهل الإبل، ثم سننها وبينها على لسان نبيه عليه السلام. ثم لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء إلا البيان والأداء عن الله بإحسان.

وكذلك جميع الفرائض والموارث، ففسر منها في كتابه ما فسر، وفسر على لسان نبيه باقي ذلك، وكذلك في جميع أحكام الحلال والحرام. فكل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه حلال لا يجوز تحريمه، أو قال إنه حرام لا يجوز تحليله. وكل ما أوقف الأمة عليه، وجعله فرضاً عليها مفروضاً لم يجز لها تعديه، ولم يطلق لها النقصان، ولا الزيادة فيه، فهو من الله سبحانه لا منه صلى الله عليه وآله وسلم، لم يزد رسول الله عليه السلام فيما أمر به، ولم ينقص منه، بل أدى الأمانة والنصيحة فيه صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله. فمن قال: إن شيئاً من هذه المحظورات من المحرمات والمحللات كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة ابتدئها لم تبين، ولم تشرح، فقد جهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجاهل في قوله بذلك الله عز وجل سبحانه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً أن يكون كذلك، أو أن يكمل نبيه عليه السلام إلى نفسه، أو يجعل إليه شيئاً من فرض دينه حتى يفرضه دونه. ومعنى قول القائل سنة: فإنما هو بينه وأظهره وذكره عن الله وشرعه، وبينه عنه سبحانه وأعلنه، لا أنه اقترحه ولا اخترعه.

من قال إن شيئاً
من المحرمات
والمحللات كان من
رسول الله سنة
ابتدئها فقد
جهل

ومن الحجّة في ذلك أن يقال لمن قال أو ظن هذا القبيح من الظن: خبرنا عن دين الإسلام وأحكامه، وما جعل الله تبارك وتعالى فيه من نوره وبرهانه، وما اختار فيه سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم هل كان عند الله معلوماً، ومن قبل خلق الدنيا في علمه تبارك وتعالى مفهوماً، لا يزول عنه منه صغير، ولا يغيب عنه طول الدهر منه كبير؟ فلا تجد بداً من أن تقول: نعم، قد كان دين الإسلام وشرائعه وما جعل الله تبارك وتعالى فيه من فروضه وحدوده عند الله سبحانه معلوماً، لم تزد بعثة محمد ولا إيجاداً في حدود الإسلام وما علمه الله من فرائض دين محمد عليه السلام شيئاً، بل جاءت وكانت واقترضت وبانت بعد بعثة محمد على الأصل الذي كان عند الله معلوماً، الذي اختاره على الأديان كلها لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولأمته.

فيقال له عند إتيانه بما ذكرنا وتبينه لما قلنا وشرحنّا: أيها المناظر إذا كان عندك هذا القول على ما قلت، فمن أين علم محمد صلى الله عليه وآله وسلم جميع ذلك حتى استخرج مكنون علم الله القديم وشرائع دين الله الكريم، حتى أتى بها على ما كانت، وبينها على ما فرضت، وأقامها على ما حددت من قبل إيجادها وخلقه، وكيثونته وبعثته؟

فإن قال: استخرجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعقله، واستدل عليها بلبه. قيل له: سبحان الله ما أجهل هذا المقال، وأفحش هذا الفعال! وكيف يستدل بعقل على علم غيب عند الله مكتوم، هذا ما لا يكون أبداً، إذ المخلوقون لا يعلمون غيباً، ولا يفهمون مما استسر به سراً.

وإن قال: علمه بتوفيق الله. قيل له: ليس هذا مما يلزمه التوفيق، ولا يجوز عليه فيه طرف من التحقيق لما فيه من عظيم فروض الله وجليل صنع الله وأمره ونهيه وزجره وفعله وما أوجب به وفيه وعليه من الثواب للمطيعين، والعقاب على العصيين. وإنما يكون من الله التوفيق في غير المفروضات من الأمور، فأما شرائع الدين، وما تعبد به المسلمين فلا يكون إلا بتبليغ الرسل والاحتجاج بذلك على جميع الملل، فلا تجد بداً من الإقرار بالحق، والتعلق بعلائق الصدق، والرجوع إلى قول المؤمنين، أو أن يثبت على باطله من بعد إثبات الحجّة عليه في مذهبه، فيكون عند نفسه وعند غيره مكابراً، وللحجج البالغة مناصباً، ولا يجوز له في دينه احتجاج ولا بيان ولا يجد على الباطل بحمد الله عوناً ولا برهاناً.

فإذا بان له خطأ هذين المعنيين، وفساد هذين الوجهين، لم يجد بداً من أن يقول بقولنا، فيزعم أن جميع ذلك من الله سبحانه وحي أوحاه إلى نبيه على لسان ملكه كما أوحى القرآن على لسانه، ولعمري ما سبيل أصول الأحكام، وما تعبد الله به أمة محمد عليه السلام إلا كفرعها، ولا فروعها إلا كأصولها، وما أصولها وإن جاءت في الكتاب مجملة بأوكد فرضاً من فروعها المتفرعة، وما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى علم مجملها بأحوج منه إلى علم فروعها؛ لأن الفروع هي العمل، والعمل فهو الإيمان؛ لأن الإيمان كما قال أمير المؤمنين: "قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول"، والفروع فهي أصول الأعمال، وأصول الإيمان، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد أن سبيلها عند الله كسبيل ما أجمل الله في القرآن، لا تختلف معنى الفروع والأصول إلا عند من سلب العقول.

كيف يُستدل
بعقل على علم
غيب عند الله
مكتوب

الإيمان "قول
مقول وعمل
معمول وعرفان
بالعقول"

إن الله سبحانه
نزل الفروع على
نبينا كما نزل
الأصول في كتابه

ومن الحجّة على ما به قلنا من أن الله سبحانه نزل الفروع على نبينا كما نزل الأصول في كتابنا قول الله سبحانه: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) [الشورى: ٥٢]، فأخبره أنه لم يكن يدري ما هذا الكتاب المجمل، ولا هذه الفروع التي هي الإيمان المنزل. وفي ذلك ما يقول: (ووجدك ضالا فهدى) [الضحى: ٧] يريد تبارك وتعالى ضالا عن شرائع الدين، وفروع ما أجمل في القرآن المبين، فلم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يدري كم يصلي الظهر، ولا كم عدد العصر، ولا كم يأخذ من أموال الناس المسلمين من الزكاة، ولا كم فرض الله عز وجل فيها، ولا متى تجب، ولا في كم تجب، بل كان ضالا عن ذلك كله، وضالاه عنه فهو جهله به وقلة معرفته بما يريد الله أن يفترض عليه، فلم يكن عليه السلام يعلم من ذلك إلا ما علمه، ولم يفرض على الأمة إلا ما به أمر، ولم يكن من المتكلفين، ولا من غير ما أمر به من المتكلفين.

ومن الحجّة في ذلك: أنه لو كان كما يقول الجاهلون، ويتكلم به الضالون، من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرع هذه الفروع من نفسه، وأوجدها وبينها من دون ربه، لكان محمد عليه السلام المفترض لجميع هذه الفرائض والأحكام على جميع الأنام، دون الله الواحد ذي الجلال والإكرام، ولو كان صلوات الله عليه المفترض لذلك والمحدد له الجاعل على أمته لكان هو المتعبد لها بفرضه، المدخل لها في حكمه، المصرف لها في عبادته، دون الله، تبارك وتعالى عن ذلك، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون كذلك، لأن الأمة إنما عبدت الله بهذه الشرائع، وهذه الفروع، وبإقامة هذه الأحكام، وتحليل الحلال منها وتحريم الحرام.

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقول الجاهلون من أهل هذا المقال هو المفرع لهذه الفروع، والناسر لها، والمتخير فيها، المحلل للحلالها، المحرم لحرامها، اختيارا منه بفعله وتمييزا منه بلبه، وحتما منه على أمته اختراعاً له دون ربه؛ لكان محمد مستعبدا للأمة بفرضه، وكانت الأمة عابدة محمداً دون ربه، إذ هي قائمة بفرائض محمد ساعية فيها، مقيمة لها، مستقيمة عليها، وفي هذا ومثله، وفي القول بيسيره أكفر الكفر بالله سبحانه، وأجهل الجهل به، وأكثر الطعن على رسوله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل القول في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفترض فريضة دون الله، ولم يحكم في دم ولا فرج إلا بالله، وأن الله سبحانه هو مؤصل الأصول، ومجمل المجمل، ومفصل المفصل، ومفرع المفرعات، ومبين الملتبسات، المتولي لتعبد خلقه بما شاء سبحانه من فرضه، وأن نبيه صلوات الله عليه لم يزد ولم ينقص في شيء مما أمر بتبيينه للعباد، وأنه قد بلغ وأرشد غاية الإرشاد.

السنة التي لا يأتهم مخالفتها:

ثم نقول إن كلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه حرام لا يجوز تحليله، أو إنه حلال لا يجوز تحريمه، ومحظور لا يجوز إطلاقه، أو مطلق لا يجوز حظره، فإنه من الله لا منه، وأنه لم يفعل ذلك إلا بأمر الله، ولم يتعد فيه فرض الله تعالى وإن ذلك لازم للأمة، وإن لمن خالفه أو نقص بعضه العقاب والعذاب، وإن لمن أداه على وجهه وعبد الله بما تعبد به الثواب، فكل ما ذكرنا

لم يفترض رسول
الله فريضة دون
الله ولم يحكم في
دم ولا فرج إلا
بالله

من ذلك من الحلال والحرام وشرائع الدين والأحكام فهي من الله حقاً حقاً. وليس حالها كحال غيرها مما جعله رسول الله عليه السلام من نفسه واختياره ورأه مما لم يجعل الله ولا رسوله على تاركه عقاباً، مثل ما سن من الوتر، وتقليم الأظافر، وحلق الشعر والسواك وتعفية اللحية وأخذ الشارب، وغير ذلك مما سن وفعل واختار لنفسه من زيادات العبادة والصلاة، مثل ما كان يصلي ويلزم ويحب من ركعات كان يصلين فيما سوى الفريضة، ومثل ما كان يرى من التعزيرات، ويفعله عند النزالات، وما كان يكون منه من التأديب لأُمَّته على ما يكون من خطأ أفعالها، لأن الخطأ من أفعال الأمة على أربعة وجوه: فوجه: يجب لله فيه حد، وهو ما جعل فيه سبحانه حداً في كتاب الله وسماءه، مثل ضرب الزانيين، وقطع السارقين، وحد القاذفين، وما أشبه ذلك مما جاء في الكتاب حده مبيناً.

حد الخمر في الكتاب وفسره جبريل كما فسر غيره من الفروع لرسول الله (ص)

والوجه الثاني: فما نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحده له وأمره به، من أدب من ارتكب شيئاً محرماً مثل حد الخمر المحرمة في الكتاب، نزل بالحد فيها وفسره كما فسر غيره من الفروع جبريل لمحمد عليه السلام.

والوجه الثالث: فخطأ من أفعال العباد يجب للنبي عليه السلام فيه الأدب على فاعله، وهو مثل رجل لو ضم امرأة إليه، أو قبلها، أو نظر إلى شعرها أو بشرها، فلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاختيار في أدبه وتعزيره، على قدر ما كان من فعله وجرأته، يقل الأدب أو يكثر على قدر ما يرى من بلوغ الأدب، وجزع المؤدب، وكذلك الأئمة لها في ذلك الاختيار تعزير بما رأت يقل الأدب أو يكثر على قدر ما ترى من عظم الجرم وصغره، وبلوغ الأدب في المؤدب واحتماله للأدب، عليها فرض أن تعمل النظر في ذلك، وتتحرى التنكيل للمؤدبين قل الضرب في ذلك أو كثر، تطلب بلوغ جزع المؤدب، والإبلاغ منه بما ترى فيه من الصلاح له.

والوجه الرابع: فهو اللطم الذي ذكر الله، وهو فعل لا يجب فيه الحد لله ولا لرسوله، ولا للأئمة أدب. والطم: فهو ما ألم به صاحبه من غير تعمد ولا اعتقاد، ولا هم ولا عزم، بمثل النظر عن غير تعمد، والمزاحمة للمرأة عن غير قصد، وما أشبه ذلك مما لم يتقدم له ذكر في ذلك على فاعله، ولم يقصد به اجترأ على خالقه، ولا تعمداً لإتيان معصية، ولا استحلال محرمة، فهذا معنى اللطم الذي ذكر الله سبحانه.

الطم ما ألم به صاحبه من غير تعمد ولا اعتقاد ولا هم ولا عزم

ومن الحجّة على من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرع من ذاته شيئاً من الفرائض المحكمات، أو شرع من ذاته شيئاً من الأحكام المشروعات، أن يقال له: خبرنا عن فعل الله هل هو فعل نبيه، وعن فعل نبيه هل هو فعله؟ فمن أصل قوله إذا كان موحداً وبالله إذا كان عارفاً أن يقول: لا. ثم يقول: فعل الله خلاف فعل محمد، وفعل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلاف فعل الله عز وجل. فيقال له حينئذ: ألا ترى أن هذا الذي ذكرت أن محمداً فرعه وشرعه وفصله، وأمر العباد بفعله، هو فعل لمحمد؟ فإذا قال: نعم، قيل له: أفليس فعل محمد خلاف فعل الله؟ فإذا قال: نعم، قيل له: فمحمداً إذا هو المفترض للفرائض على الأمة دون الله، إذ كان فعل محمد خلاف فعل الله، ومحمداً إذا لو

الكتاب جزء من
وحي الله، وسنته
جزء آخر من
وحي الله

كان كذلك كان المعبود بأداء فرائضه دون الله، إذ الفرض من محمد لا من الله. فلا يجد بداً، إن كان عارفاً وله موحداً، من أن يرد جميع ما تعبد به الأمة إلى الله عز وجل، ويزعم ويقول ويعتقد أنه من الله، حتى يصح له القول بأن المسلمين عبدوا الله لا غيره، ويثبت الفعل في فرض المفروضات لله لا غير الله، لأن العبادة من العابدين لم تصح إلا بأداء الفرائض لمن افترضها، فمن ثبتت له الشرائع والتفريع والتبيين ثبت له الفرائض، ومن ثبت له الافتراض للمفروضات ثبتت له العبادة في كل الحالات من العابدين وهم المؤدون للفرائض المحكمة، والشرائع المثبتة التي لا تصح لهم عبادة إلا بأدائها، ولا ديانة إلا بإقامتها، فهذه حجة على من عرف الله بالغة كاملة بينة نيرة تبين لمن أفكر فيها، وتصح لمن تدبر معانيها، والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

ومن الحجة على من قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقول المبطلون: من أنه لو فرع الفروع من نفسه، وأوجبها على الأمة دون ربه، لكان المتعبد لنفسه بالفرض الذي أوجبه عليها وفرعه لها، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أول العابدين، وأخلص المخلصين، وأقوم القائمين بهذه الفرائض المفروضات، والفروع المفرعات، فهو قائم بها عابد لمن فرضها بإقامته لحدودها، فالفروض لها هو المعبود دون غيره، فتبارك الله رب العالمين، الذي فرض فرائضه على جميع المرئيين الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وجميع الثقلين. وفي تبري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التكلف لشيء من فروع أحكام الله عز وجل وفرضه، وما جعل من برهانه ودينه، ما يقول الله تبارك وتعالى: (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) [الأعراف: ٢٠٣].

فإن قال قائل: ما معنى قول من يقول: سنة، وما معنى دعاء من دعا إلى الكتاب والسنة؟ قيل له: معنى الدعاء إلى ذلك هو الدعاء إلى الأصول الموصلة، والجمل المجملة، والآيات المنزلة، وإلى الفروع المفرعة، والأحكام المحكمة، والشرائع المبينة، والطاعات المفترضة.

والكتاب فهو جزء من وحي الله وأحكامه، وسنته جزء آخر من وحي الله وتبينه، فسمي الوحي الذي فيه أصول المحكمات من الأمهات المنزلات قرآناً، لأنه جعل للأصول إماماً وقواماً، وللفروع المفرعات أصولاً وتبيناً، وسمي الجزء الثاني من وحي الله عز وجل وفرائضه سنة وبرهانا، فكان ما يتلى في أثناء الليل والنهار أحق بأن يسمى قرآناً، لما فيه من واجب التلاوات، وما يتعبد به المتعبدون من الدراسات، وكان ما فسر به المجملات مما بين به التشابهات من الفروع المبينات أولى بأسماء السنة في البابين من اللغات؛ لأن معنى السنة هو التبيين للموجبات للحجة، لقول العرب سن فلان سنة، تريد بين أمرأ وشرع خيراً، وجعل شيئاً يستن به فيه، ومعنى يستن به أن يقتدى به فيه ويحتذى كذلك وعلى ذلك يخرج معنى قول القائل سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا، يريد أظهر وبين ما جاء به من عند الله.

والسنة فهي الأحكام المبينة، والفرائض المفصلة، فهي لله سبحانه ومنه، لا من رسول الله صلوات الله عليه وآله ولا عنه، وليس له فيها فعل غير التبليغ والأداء والنصيحة والإبلاء، والسنة فهي سنة الله عز وجل، وإنما نسبت إلى

السنة هي
الأحكام المبينة
والفرائض
المفصلة فهي لله
سبحانه ومنه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مجاز الكلام، إذ هو المبلغ لها والآتي عن الله سبحانه بها، كما يقال للقرآن كتاب محمد، وكما يقال للإنجيل كتاب عيسى، وكما يقال للتوراة كتاب موسى، قال الله سبحانه في ذلك وما كان من الأمر كذلك: (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً) [الأحقاف: ١٢]، فسماه كتاب موسى ونسبه إليه، وإنما هو كتاب الله عز وجل الذي نزل على موسى، وكذلك مجرى السنة في قول القائل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد سنة الله، ومعنى سنة الله فهو فرض الله وحكمه وتبينه لدينه وعزمه، قال الله جل جلاله: (سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) [غافر: ٨٥]، يريد سبحانه بقوله: (سنت الله) أي: ذكر الله وفعله، وصنعه في خلقه وأمره.

ومن قال: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد بها غير ما ذكرنا من المعنى، أو توهم في ذلك أنه شيء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا من الله، فقد جهل أمر الله، وحرف معاني تأويل قول الله، ونسب البهتان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال بأفحش القول في الله سبحانه وفيه.

والسنة فلم تعارض الكتاب أبداً بباطال لحكم من أحكامه، ولا أمر من أمره، ولا نهى من نهيه، ولا إزاحة شيء من خبره، ولا رد شيء من منسوخه، ولا نسخ شيء من مثبتته، ولا إحكام شيء من متشابهه، ولا تغيير شيء من محكمه، بل السنة محكمة لكل أمر الأحكام الموصلة، المبينة للمعاني المفصلة، مفرعة للمحكّمات المتبينّة عن التأويلات، يشهد لها محكم الكتاب وتنبي عنها جميع الأسباب أنها من الله رب الأرباب.

وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفروع التي جاءته عن الله عز وجل وتبارك وتعالى حتى يقال إنها من السنة فلم يشهد له الكتاب ولم يوجد فيه ذكرها مفصلاً أو مجملاً موصلاً ثابتاً فليس هو من الله، وما لم يكن من الله فلم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكه عن الله فهو ضد السنة لا منها، وما لم يكن منها لم يجز في دين الله أن ينسب إليها.

وآيات الكتاب هي الأمهات لشرائع سننه المفرعات، والأمهات فهي المحكمات، واليهن ترد المفصلات، ومن الشواهد لما جاء من الروايات مما حكى من السنن المبيّنات وفي ذلك ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني ولم أقله"، يريد صلى الله عليه وآله وسلم: أن ما وافق الكتاب مما روي عنه من الأحكام ومن شرائع الإسلام فإنه منه أخذ، وأنه جاء به عن الله، وما خالف الكتاب فليس من السنة التي جاء بها عن الله؛ لأن جميع الوحي الذي جاء عن الله سبحانه من السنة والقرآن فهما شيان متشابهان متفقان، لا يتضادان أبداً ولا يفترقان. وليس ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعل أو اختيار جاء به عن نفسه منسوباً إلى الله، ولا عنه ولا متشابهاً لشيء من أحكام السنن، بل قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى رأياً

نسبت السنة إلى
رسول الله (ص)
مجازاً إذ هو
المبلغ لها كما
يقال للإنجيل
كتاب عيسى

السنة المبينة
للمعاني المفصلة،
مفرعة
للمحكّمات يشهد
لها محكم الكتاب
أنها من الله

كان رسول الله
(ص) إذا رأى
رأياً ليس من
الكتاب والسنة
أخبر أنه من
نفسه

وفعل فعلاً مما ليس هو فيه مخالف لسنة ولا لكتاب بين ذلك عن نفسه، وأخبر أنه ليس من ربه، مثل ما كان منه صلوات الله عليه وآله في الجد الذي لقيه في الجحفة راجعاً من حجة الوداع، فقال: يا رسول الله إن ابن ابني مات فما لي من ماله؟ فقال عليه السلام: لك السدس. فلما أن أبعد الشيخ رق عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحمه لما بان له من ضعفه وقلة حيلته وكبر سنه، فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: لك السدس الآخر. فلما أن مضى الشيخ وأبعد رده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثانية، فقال: إن السدس الثاني مني طعمة لك.

فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان منه وبين ما كان من الله، فلما أن قال: "السدس الثاني طعمة مني"، علمنا أن السدس الأول حكم من الله، فبين صلى الله عليه وآله وسلم فعله من فعل الله عز وجل؛ لأن لا يقع على الأمة تخليط في دين الله، ولأن يبين لها أحكام ربها وفعله، لكيلا يكون لها عليه في شيء من الدين حجة. وكذلك كان عليه السلام يفعل في كل ما كان منه من تأديب أمته، وأفعاله فيها وسياسته لها، يبين فعله من فعل الله، ويخبر بما جاء به عن الله. وكذلك ما كان من فعله وكراهيته من حمل الحمير على الخيل، وذلك قوله لعلي رحمة الله وصلواته عليهما حين قال: مما تكون هذه البغال؟ فقال: يحمل الحمار على الفرس، فيخرج من بينهما بغل. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون. أو قال: الذين لا يعقلون. فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن تحمل الأشكال إلا على أشكالها، أو أن تخلّي الفحول إلا على أمثالها، فكان هذا منه كراهية واختياراً، ولم يكن هذا شيئاً مما أتاه من الواحد الجبار.

ومثل هذا مما كان من رأيه وفعله ولم يأت في كتاب الله ولا في سنته مما كان يستحبه ويفعله من نوافل صلواته، وتعبده من بعد الفرائض المفروضات، لما كان يتعبد من النوافل المعروفة، اللواتي كن منه اختياراً وعبادة، يطلب بذلك من الله الفضيلة والزيادة، كان ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم استحساناً لنفسه، ولم يكن فرضاً من الله لا يسع تركه، ولا يجب على من تركه الكفر بربه، لأن بين الفرض وغيره من النوافل فرقا بينا، وفضلاً نيراً، فكثير يعلمه العلماء، ويفهمه الفهماء، ليس بلازم واجب على المتعبدين؛ إذ لم يكن فريضة من الله رب العالمين، إن أخذ به أخذ فقد أخذ بركة وميّن، واتبع فضلاً ورشداً، وإن تركه تارك من غير زهد فيه، ولا قلة معرفة بمفضلة، ولا استخفاف لحق فاعله، ولا إطراحاً لرأي صانعه، ولا مضادة له في فعله، لم يكن بتركه له في دين الله فاجراً، ولا بعهد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم غادراً.

فافهم هديت ما به في السنة قلنا، وأحسن الفكر والتمييز فيما منهما شرحنا، تبين بذلك إن شاء الله من الجهال، وتبعد بمعرفته من اسم الضلال، وتسلم بحول الله من قول المحال، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً.

- المصدر: مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، تحقيق عبدالله بن محمد الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م، ص ٤٦٥.

كثير مما يعلمه
العلماء ليس
بواجب على
المتعبدين إذ لم
يكن فريضة من
رب العالمين

صفحات هجر العلم ومعاقله

مراجعة نقدية

الحلقة الثانية

عبدالسلام عباس الوجيه

تضمنت

الحلقة الأولى من هذه الملاحظات

النقدية الأسباب الدافعة إلى نشرها
والإشارة إلى مستدرك الاكوع على كتابه (هجر العلم) الذي
خلا من أي تراجع عن الأخطاء والتجنيات والإصرار على
الرمي رعرض الحائط بكل الملاحظات النقدية التي وردت
إليه.

واشتملت

الحلقة الأولى أيضاً على ملاحظات عابرة موجزة

حول كتابه، منها:

- ١- البون الشاسع بين المحتوى والعنوان.
 - ٢- شحة وانتقائية المعلومات حول الهجر.
 - ٣- اختلاف وتعدد الأساليب في التراجم.
 - ٤- الانشغال بالقضايا الخلافية الهامشية والتركيز عليها.
 - ٥- موقفه وحكايته مع المؤلفات.
 - ٦- إطلاق ألقاب التبديع والتضليل ورمي الناس بالباطل.
 - ٧- عدم الأمانة في نقل النصوص وتعمد تحريفها وتشويهها.
- وكل عبارة من العبارات السابقة تحتاج إلى بحث واستيعاب في فصل أو
فصول متعددة وهو ما احتوى عليه كتاب الرد عليه، ولا مانع هنا من التفصيل
الخفيف في التصحيح والتحريف، فكما سبق أن ذكرت تعرضت عشرات
الكتب والمصادر التي نقل منها إلى اعتداء كبير من التصحيح والاقتطاف
والحذف والانتقاء والتوهين والتضعيف واللامبالاة في النقل إلى درجة جعلت

تعرضت عشرات
الكتب والمصادر
التي نقل منها
إلى اعتداء كبير

الأخ الأستاذ المؤرخ زيد الوزير يقول ص ٢١ من مقدمة تحقيق كتاب (مكتون السر):

"على كل حال وجدتني على ضوء ملاحظاتي على نقل النصوص أرى قاضينا الأكوغ يتنكوع بين النصوص ويتلکوع بين الكلمات فقررت مساعدته ببعض الملاحظات" إلى أن يقول ص ٢٧ من المصدر المذكور: "ومهما كان الأمر فإن حجم الاعتداء الكبير على النصوص واضح للعيان ولو أخذنا ما قام به في العشرين سطرًا وطبقناه على بقية أعماله - وهو ما لا نريده له - لكانت بقية مروياته تتعرض إلى كارثة علمية فعلا إذ أن المعدل من هذه العينة يبلغ خطأ لكل سطرين".

وقد قلت أن ما أورده الأستاذ زيد من تحريف الأكوغ لكتاب (مكتون السر) ليس إلا نقطة في بحر متلاطم من التصحيف والاقتطاف المتعسف.

وفي هذه الحلقة أحب أن أورد بعض النماذج العابرة للاعتداء على النصوص، وسأكتفي هنا وكفي لا يعل القارئ بنصوص يسيرة وقصيرة من نقولاته عن كتابي (مطلع البدور ومجمع البحور) لابن أبي الرجال، و(أنباء الزمن) ليحيى بن الحسين، تاركا بقية الكتب والمصادر الكثيرة إلى مواضعها من الكتاب، لكنني قبل نقل ومقارنة النصوص التالية أنبه القارئ الكريم إلى ما يلي:

١- اعتمدت في مقارنة نصوص (مطلع البدور) على نسخة مصورة عن نسخة خطية بمكتبة آل الغالبي في صعدة الجزء الأول، انتهى من نسخه بتاريخ ٢٩ من شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٩ هـ بقلم الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال، وهو في ٤٦٥ صفحة. أما الجزء الثاني فهو من نفس المكتبة خط سنة ١٣٢٦ هـ وكان تمام نسخه يوم السبت الرابع من شهر صفر بقلم يحيى بن عبدالله بن حسن بن إسماعيل مرغم الملقب حنه، بعناية شيخ الإسلام محمد بن عبدالله الغالبي وهو في ٣٧٢ صفحة.

٢- اعتمدت في المقارنة على (أنباء الزمن) ليحيى بن الحسين على نسخة مصورة بعنوان (كتاب أنباء الزمن في تاريخ اليمن) من وقف سيف الإسلام يحيى بن أمير المؤمنين يحيى بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى على مكتبة الجامع المقدس بصنعاء، بقلم القاضي عبدالرزاق بن أحمد الرقيحي، فرغ منها يوم الخميس الموافق ثالث عشر من شهر شعبان أحد شهور سنة ١٣٦٨ هـ بعناية واقفها، وهي في ٣٩٠ صفحة.

٣- لم أتعتمد متابعة النصوص والمقارنة إلا في ثنايا البحث وتدوين فصول الرد وما أورده هنا قطرة من مطرة.

٤- أسلوب الأكوغ في نقل النصوص يحتاج وحده إلى دراسة وحلقة منفصلة، فهو ينقل الكثير الكثير من نصوص المصادر التي يعتمد عليها، ولا يحدد عبارات مؤلفيها بين أقواس بل يترك معظمها موهما أنها من صياغته، وذلك لكي يتدخل في النصوص كما يريد ويضيف ما يشاء ويحذف ما يريد حذفه ويلوي عن السياق ما يريد له تبعاً لأغراضه، وعادة ما يختار في تراجم من يهواهم عبارات الثناء والمديح ويتوسع ويطنب ويزيد من كيسه من الأوصاف ما يشاء ويتعمد في تراجم من يكرههم البحث عن كل مثلبة أو منقصة حتى

ما أورده زيد
الوزير من
تحريف الأكوغ
نقطة في بحر
متلاطم

أسلوبه في نقل
النصوص يحتاج
إلى دراسة
منفصلة

ولو اضطر للبحث عنها في كتب خصومهم وإدخال عبارات هذا المؤلف في عبارات الآخر ويعزو أحياناً ما قاله فلان إلى فلان بل ويوغل وخصوصاً في تراجم أئمة وعلماء الزيدية الذين لا يوافقون هواه، فيكرر تراجمهم ليوزع عليها كل مثلبة أو منقصة يرى أنها تحط من شأنهم، ولا يتورع بأن يعلعل ويبرر بعلل وتبريرات مضحكة مبكية في أن واحد..

فمثلاً في ترجمة القاسم بن يوسف ابن المفضل ص ٦٢٥ من الهجر يقول ما نصه: "ولاه الإمام صلاح الدين بلاد أنس ولعله طغى وتجبّر فاغتاله بنو الروية في موضع يسمى (ظلامه) من بني قشيب"، ثم يعود فيؤكد عللته وأوهامه في نص آخر فيقول ص ١٣٠٨ من هجره في حاشية على ترجمة الإمام صلاح الدين: "كان شديد الفتك بمن يخالفه أو يعارضه فحين قتل بنو الروية عامله على بلاد أنس لظلمه قتل منهم سبعين". فإذا رجعنا إلى النص الذي نقل عنه وهو (مطلع البدور) لابن أبي الرجال، نجد بعد وصف المترجم القاسم بن يوسف بأجمل الصفات نقلاً عن (تاريخ السادة آل الوزير) يقول: "فتعدى عليه بنو الروية واغتالوه وقتلوه بين الشرائف المطهرات وهو يتلو كتاب الله وبيده الختمة الشريفة" إلى آخر النص ص ٢٢٣، مطلع ج ٢.

وهذا مثل من عشرات الأمثلة على العللة التي يطلقها ثم يرجع فيصدقها ويؤكدها ومنها عللته في ترجمة الحسن بن علي بن حنش ص ١٠٠٣ هجر، بأنه كان يؤلف الكتب للإمام شرف الدين ومنها انطلق للتشكيك في مؤلفات الأئمة كما قدمنا.

أما بحثه الدائب عن المواضيع التي يعرف هو عدم صحتها ويعرف أيضاً تجنيه في حشوها في تراجم الأئمة فأوضح وأصرخ مثال عليها ما أورده في ترجمة الإمام إبراهيم بن تاج الدين الذي كرر ترجمته في هجرة بيت حنبص ص ١٦٩ من هجره، لمجرد التجني والتشويه المتعمد المعتمد على غير الحقيقة، إذ قال ما نصه:

"إبراهيم بن تاج الدين الإمام المهدي

أقام في بيت حنبص حينما كانت قوات الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول تطارده فلما داهمته هذه القوات واستولت على الحصن يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الأول سنة ٦٧٢ هـ فر منه. وقال غازي بن المعمار يصف ما وجد جيش المظفر من الخمر في هذا الحصن:

ولما فتحنا بيت حنبص عنوةً وجدنا بلاً دواح ملاً من الخمر
وعند أمير المؤمنين عصابة يقولون بالبيض الحسان وبالسمر
فإن تكن الأشراف تشرب خفية وتظهر للناس التنسك في الجهر
وتأخذ من خلع العذار نصيبها فإني أمير المؤمنين ولا أدري
قلت - والكلام للأكوع - لقد استعمل هذا الشاعر السلاح الذي كان
يستعمله شعراءهم ورحلوا أئمة في تشويه سمعة معارضيههم ومناوئيههم
وخصومهم، والخبر أياً كان مصدره فإنه يحتمل الصدق أو الكذب، وعلى كل
حال فهو من قبيل رد الصاع بثله" انتهى كلام الأكوع، وسأترك التعليق في
موضعه.

تراجيم أئمة
وعلماء الزيدية
مأخوذة من كتب
خصومهم

أوضح مثال
لتجني الأكوع
على الزيدية
ترجمته للإمام
إبراهيم بن
تاج الدين

وعود على بدء ولننقل نماذج من نقولات الأكوغ، ولنبدأ من كتاب (مطلع البدور لابن أبي الرجال).

نماذج بسيطة من الاختلالات في النقل:

(أ) قال ابن أبي الرجال في ترجمة العلامة الفقيه علي بن أحمد بن محمد بن عقبه، ما نصه:

"قال العلامة أحمد بن محمد بن الحسن رحمه الله: وعقبه أشهر جدودهم، وهو الملك الهمام المتأمر على مدينة صنعا وأعمالها في بعض مدته، وهو الذي بنى المساجد العظيمة سيما بوطنه ومسقط رأسه قروى شرقي مدينة صنعا، وداره بها مشهورة تسمى (دار المناحل) بميم ونون بعدها ألف وبعد الألف حاء مهملة وسط وادي قروى على قرية الحميرا، وعرف مسجده وانحاز عقبه إلى قرية الحميرا لتحصينها ضد عدوان قبائل بني بهلول وبني نصر، بنو بهلول غصبوا نعمه وبنو نصر غصبوا مواضع (دار المناحل) وما حولها، وارتحل بعض الفقهاء بلاد أنس والبعض ساقين بعد أن سكن المنتقلون إلى ساقين بهجرة معين يئاني صعدة قرب الحاجر وسنذكرها إن شاء الله في ترجمة العلامة معين" انتهى، مطلع البدور ٨٣/٢ خ.

أما الأكوغ فقد نقل العبارة كما يلي ص ١١١ من كتابه، قال فقد ذكر ابن أبي الرجال في كتابه (مطلع البدور) في ترجمة علي بن أحمد بن محمد بن عقبه: "أن عقبه أشهر جدودهم وهو الملك الهمام المتأمر على صنعا وأعمالها، في بعض مدته وهو الذي بنى المساجد العظيمة لاسيما بوطنه ومسقط رأسه بجهة قروى شرقي مدينة صنعا وداره بها مشهورة تسمى (دار المناحل) بميم ونون بعدها ألف وبعد الألف حاء مهملة وسط وادي قروى على قرية الحميرا. وانحاز عقبه إلى قرية الحميرا ليحصنها ضد عدوان بني بهلول وبني نصر وقد اعتدى عليه بعض قبيلة بني بهلول ونهبوا غنمه كما استولى بنو نصر على (دار المناحل) وما حولها".

ثم قال ابن أبي الرجال: "وارتحل بعض الفقهاء - أي من بني عقبه - إلى بلاد أنس (وهم الذين سكنوا هجرة الأريم) والبعض إلى ساقين (من بلاد خولان بن عمرو) من نواحي صعدة بعد أن سكن المنتقلون إلى ساقين هجرة معين يئاني صعدة قرب الحاجر" انتهى ص ١١١ هجر العلم.

الملاحظات:

- ١- أغفل مصدر ابن أبي الرجال وهو أحمد بن محمد بن الحسن رحمه الله.
- ٢- أسقط كلمة مدينة في قوله (التأمر على مدينة صنعا).
- ٣- في المخطوط (سيما) وكتبها (لاسيما).
- ٤- أسقط عبارة (وعرف مسجده).
- ٥- أصبحت عبارة: "لتحصينها عند عدوان"، "ليحصنها ضد عدوان".
- ٦- "بنو بهلول غصبوا نعمه وبنو نصر غصبوا مواضع دار المناحل" جاءت كذا في الهجر: "وقد اعتدى عليه بعض قبيلة بني بهلول ونهبوا غنمه كما استولى بنو نصر على (دار المناحل) وما حولها" .. لا أدري هل هذا في المخطوطة

نماذج من
نقولاته عن
(مطلع البدور)
لابن أبي الرجال

نص لا يتجاوز
بضعة أسطر
وثمان ملاحظات

التي نقل عنها أم أصلح العبارة من عنده ولم يوضح ذلك.
٧- بقية العبارة تدخل فيها للتوضيح، لكنه زاد كلمة إلى قبل كلمتي
ساقين وأنس.

٨- (الحباجر) المعروفة يمانى صعدة صحفت إلى (حناجر).
٩- وحتى لو كانت بعض العبارات تصحيحاً للنص فقد كان يجب الإشارة
إلى ذلك.
وهذا في نص لا يتجاوز بضعة أسطر.

أمثلة يسيرة على النكوعة بين النصوص

(ب) قال ابن أبي الرجال (مطلع ٩٧/١ خ): "العلامة الفقيه الكبير أحمد بن
تبع عالم كبير مسكنه الهجرة من ظاهر بلد بني شاور".
- قال الأكوغ في ص ١٤٨ من الهجر بعد ذكر اسمه: "ترجم له ابن أبي
الرجال في (مطلع البدور) فقال: (عالم كبير مسكنه الهجر من ظاهر بني
شاور)".

الملاحظة: سقطت كلمة (بلد) وتحولت الهجرة إلى هجر وهي هجرة في
مطلع البدور، وذكرها في النص الذي نقله الأكوغ من المطلع مرتين قال ابن أبي
الرجال: "وروى بإسناده عن مطرف بن شهاب شيخ المطرفية قال: كان بهجرة
بني شاور اخوان من المسلمين". أما نص الأكوغ: "كان بهجر بني شاور اخوان
من المسلمين".

(ج) ومن الأمثلة على النكوعة في النصوص والتصحيح ما نقله عن ابن
أبي الرجال ص ٦٢١-٦٢٥ في ترجمة أحمد بن عزوي العصفري الذي رد
على قصيدة الحافظ عبدالرحمن بن علي الديبع في مدح زبيد التي حذف منها
بعض الأبيات لما فيها من مدح للعلماء والأئمة فبعد قوله مفاخراً بالجمال ومن
سكنها:

وأين تبع فيهم ذو الكلاع إلى خير الدلائل ما الإنسان مبيديها
فكن بفضل رجال الفضل مقتديا واسكن بنفسك أرض القوم تنجيها
أورد ابن أبي الرجال الأبيات التالية وقد حذفها الأكوغ لغرض لا يخفى
وهي:

نسل ابن يحيى الذي في ذي السفال ثوى
هو ابن أبي الخير مولاها وواليها
أين ابن علوان قطب العارفين وأين
البحر علمانفيس الدين مفتيها
أين ابن حمزة يحيى أين ناصرها
أين المؤيد والمنصور داعيها
أين المظلل بل أين المطهر بل
أين المهدي والهادي ومهديها
جبال علم على شم الجبال حووا
من المفاخر ما لا الرمل يحصيها

حذف أبياتاً من
قصيدة الديبع
في مدح زبيد لما
فيها من مدح
للعلماء والأئمة

وله كامل الحق أن يقتطف ما يريد وقد أشار إلى ذلك، ولم أذكر الأبيات إلا لنعرف بعض نماذج النكوعة في النصوص، أما أبيات القصيدة وما فيها من تصحيف فأكتفي بمثال البيت التالي ونصه في المخطوط:

والظل نائر منشور ومنتظم
لآلئ لم تك الأصداف تبقئها
وفي الهجر ص ٦٢٤:

له أن يقتطف ما
يريد دون إخلال
بأمانة النقل

والظل نائر منشور ومنتظم
لآلئ لم تك الأصداف تبقئها
قال ابن أبي الرجال تعقيبا على القصيدة: "ثم أخذ على هذا الأسلوب وهي قصيدة كما ترى فصيحة تدل على غزير ديمته".

ونقل الأكوغ هذه العبارة كما يلي: "ثم أخذ على هذا الأسلوب وهي كما ترى فصيحة تدل على غزر ديمته".
- أسقط كلمة (قصيدة) وقرأ (غزير) غزر.

(د) في ترجمة أبي العفر اللعوي ص ٩١٠-٩١٤ هجر، نقل نصاً عن (مطلع البدور) أسقط منه ست كلمات متفرقة وغير كلمات، وسأكتفي بذكر سقط واحد متعمد وتكرر في أكثر من نص على سبيل المثال لا الحصر..

قال ابن أبي الرجال في هذا النص: "ويدل على شجاعته أن قيس بن الضحاك سلطان همدان في عصره خرج بعد قتل أبيه وقومه للمختار بن الناصر بن الهادي عليهم السلام وكان قيس يتولاه".

وقد أسقط الأكوغ من هذه الفقرة كلمة (عليهم السلام) وله أن يسقط ما يشاء لو نقل مضمون أو ملخص أو معنى النص كما هو دأبه في النصوص التي لا تتلاءم مع ما يريد صياغته، لكن أن يكون النص بين قوسين وفي سياق عبارة معينة للمؤلف فذلك ما لا يجوز ولا يبرر.

وقد تعمد الأكوغ حذف الترضية أو الترحم أو الدعاء في مواضع كثيرة منها مثلاً من (مطلع البدور) فقط:

- قال ابن أبي الرجال في ترجمة سعيد بن برية أحد العلماء الذين أجابوا على المطرفية ما نصه: "وكانت هذه من مناقب ابن برية رضي الله عنه لشدة عتو المعيد وطغيانه" مطلع ٣٩٢/١.

وقد نقلها الأكوغ وحذف الترضية ص ٩٢٣ هجر، مع أنها داخل النص.
- وقال ابن أبي الرجال في (المطلع) ص ٢٥٥: "والمشهور أنه من غير طائفة الزيدية كثرهم الله وقوى أعمارهم".

تعمد حذف
الترضية
والسلام وهذا لا
يضر المترجمين

ونقل الأكوغ العبارة في (الهجر) ص ٧٨٢ وحذف الدعاء ولا ضير في ذلك لأنه في آخر النص، وذكرته فقط للاستدلال على الأسلوب، وحذف الترحم في كثير من النصوص إن كانت في علماء لا يحبهم.

وكل هذا ليس بضائر المترجمين وإن أخل بأمانة النقل وهو يسير من كثير من الإخلال بالدقة في النقل والسقط والحذف والتصحيف وإبدال كلمات لا يعرفها بغيرها.

(هـ) ومن (مطلع البدور) نقل نصاً في ترجمة سليمان بن ناصر السحامي

وتنكوع فحذف وصف كتاب شمس الشريعة وشعر الإمام عبدالله بن حمزة فيه، وتصرف في النص وأبدل عبارة: "وقد نقل بعض المعتنين بهذه أن مسكنه هجرة شوحط" بعبارة: "وقيل أن مسكنه هجرة شوحط".

- وفي (الهجر) ص ١٢١١ عبارة عن هجرة ضمد، نقل نصها: "حتى اشتهر أنه لم تخل ضمد عن مجتهد وشاعر". وهي في المخطوط: "حتى اشتهر أنه لا يخلو عن مجتهد وشاعر".

ولمزيد من الأمثلة من النصوص التي نقلها من (مطلع البدور) في ترجمة عبدالله بن المهدي بن إبراهيم الحوالي (مطلع البدور ٦١/٢ خ) وفي الهجر ص ١٣٨٢:

- قال ابن أبي الرجال: "كان -أعاد الله من بركته- علماً في العلوم". وقال الأكوغ: "كان علماً في العلوم" وحذف الدعاء.

- وقال ابن أبي الرجال: "واشتهر باللغة وكان برز فيها واستدرك على المحققين من أهلها كصاحب الصحاح والقاموس ونحوها وأضرابهما". ونقل الأكوغ النص: "واشتهر باللغة وكان مبرزاً فيها فقد استدرك على المحققين من أهلها كصاحب الصحاح والقاموس وأضرابهما".

- وقال ابن أبي الرجال: "وله القصيدة الطنانة الطائفة في الآفاق يمدح بها الإمام المؤيد بالله وأخوته الثلاثة الحسنين وأحمد". ونقل الأكوغ النص وأسقط كلمتي (الطائفة، الثلاثة).

- وقال ابن أبي الرجال في (مطلع البدور) ٧٠/١ خ ترجمة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن مسعود الحوالي ما نصه: "قال الفقيه اللغوي الأديب عبدالله بن المهدي رحمه الله في ترجمته ما لفظه: كان من حفاظ مذهب أهل البيت الطاهرين بل إمام حفاظ المذاهب الأربعة نفع الله بهم وكان أوحد زمانه حفظاً للأدلة ولأقاويل السلف نفع الله بهم إذا تكلم على المسألة من الفقه احتج لها بما عليها من الحديث النبوي وما تفرع عليها من أقاويل الصحابة والتابعين والفقهاء وأقوال أهل البيت حتى كأنما يغترف من بحر ويحتج لكل صاحب مذهب من الكتاب والسنة في قوله وينصف كل عالم من علماء الأمة برياً من التعصب لمذهبه أو مذهب غيره". ونقل الأكوغ النص كما يلي: "وصفه ابن أبي الرجال في مطلع البدور بقوله: كان أوحد زمانه حفظاً للأدلة ولأقاويل السلف إذا تكلم على المسألة من الفقه احتج لها بما عليها من الحديث النبوي ومما يتفرع عنها من أقاويل الصحابة والتابعين والفقهاء وأقوال أهل المذهب حتى كأنما يغترف من بحر ويحتج لكل صاحب مذهب من الكتاب والسنة وينصف كل عالم من علماء الأمة برياً من التعصب لمذهبه أو مذهب غيره" ص ١٣٨١ (هجر العلم).

ولاحظ إهمال العبارات الأولى وقوله: وصفه ابن أبي الرجال، مع أن الواصف عبدالله بن المهدي:

- حذف الدعاء من قوله "ولأقاويل السلف نفع الله بهم".

- تحول النص "وما تفرع عليها" إلى "ومما يتفرع عنها".

- استبدال عبارة "وأقوال أهل البيت" بعبارة "وأقوال أهل المذهب".

ترجم لبعض
العلماء وحذف
الدعاء لهم رغم
ثبوته في المصدر
الذي نقل عنه

استبدال عبارة
(وأقوال أهل
البيت) بعبارة
(وأقوال أهل
المذهب)

- سقط كلمة (في قوله).

ولنكتف من نقله لنصوص (مطلع البدور) بهذا، أما التجاوزات من قبيل التدخل في النص لإثبات النصوص دون عزوها فحدث ولا حرج، ولنضرب بعض الأمثلة من نقله عن كتاب (أنباء الزمن) ليحيى بن الحسين.

أما التدخل في
النصوص دون
عزوها لأصحابها
فحدث ولا حرج

قال الأكوع ص ٧٩٣ هجر العلم، في ترجمة علي بن حاتم الياامي ما نصه: "وقد وصفه يحيى بن الحسين في (أنباء الزمن) نقلاً عن كتاب (العقد الفاخر الحسن) للخزرجي في حوادث سنة ٥٥٦ هـ بقوله: [كان عادلاً كريماً يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين، وكان له في كل مخلاف وال، عليه حفظ ما فيه فلا يسار فيه بظلم ولا تعسف ولا يترك لأحد من همدان سبيلاً إلى مضرة أحد من الرعية، فإذا حضر الزرع قاسموا الزرعة في الخمس من أموالهم من غير زيادة ولا نقصان على مذهب العبيدية]" انتهى ص ٧٩٣-٧٩٤ هجر. وإذا عدنا إلى نص (أنباء الزمن) نجد المؤرخ يحيى بن الحسين قد صاغ العبارة ص ١٠٥ خ، كالتالي:

"وكان جواداً كريماً يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين ويمنعه من مضارة أهلها وجعل على كل مخلاف عاملاً فمتى أن حصاد الثمرة أمر عماله أن يقبضوا من الرعية الخمس مجرداً من غيره من سائر المطالب على طريق العبيدين" انتهى من (أنباء الزمن) ص ١٠٥ حوادث سنة ٥٥٦ هـ.

والملاحظات على النص هي:

أ- صياغة المؤرخ يحيى بن الحسين تختلف في بعض عباراتها عن صياغة الخزرجي فقد قال: "وكان جواداً كريماً" بدلاً من "وكان عادلاً كريماً" والفرق بين الوصف بالجود والوصف بالعدل شاسع. عبارة "فلا يسار فيه بظلم ولا تعسف" ليست في (أنباء الزمن) ومعنى هذا أن المؤرخ يحيى بن الحسين لا يوافق الخزرجي في وصف هذا السلطان بالعدل.

ب- أحل الأكوع عبارة الخزرجي محل عبارة المؤرخ يحيى بن الحسين وأكد ذلك بقوله: "وقد وصفه يحيى بن الحسين" ليوهم القارئ موافقة يحيى بن الحسين.

ج- وتأمل بقية النص لتجد الفرق بين هذه الصياغة وتلك لترى حجم الخلل في النقل وما يترتب عليه في العادة من تشويه للحقائق.

أحل عبارة المؤرخ
الخزرجي محل
عبارة المؤرخ
يحيى بن الحسين
ليوهم موافقته

- وقال الأكوع في هجره ص ١٠٦٠: "وذكر يحيى بن الحسين في (أنباء الزمن) في حوادث سنة ٤٦٦ ما يلي: [إن ذا الشرفين حال حطاطه على صنعا (محاصرته له) في الحصون التي حولها كان يأخذ من الناس سبعة أعشار أموالهم وكان ينفق كل شهر قدر سبعين ألفاً ونقم على ذي الشرفين هذا الجور والظلم]" انتهى. وبالرجوع إلى أنباء الزمن حوادث سنة ٤٦٦ ص ٨٣-٨٤ خ بعد سرد لبعض أحداث السنة المذكورة قال المؤرخ يحيى بن الحسين ما نصه: "وما زالت الأشراف تشن الغارات على صنعا حتى ضيقوا مسالكها واشتد الحصار على من فيها وغلت الأسعار في صنعا ومخالفها وكثرت المطالب على الناس من جهة الدولة بسبب الفتن". ولا تعليق.

- قال الأكوع في الهجر ص ١٥١١ في ترجمة الإمام الحسين بن القاسم

العياني ما نصه: "دعا إلى نفسه بالإمامة من (قاعة) سنة ٤٠١ كما ذكر يحيى بن الحسين في (أنباء الزمن) بقوله: [ودخلت سنة ٤٠١ وفيها وصل الإمام الحسين بن القاسم بن علي إلى (قاعة) وأدعى أنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في شهر صفر من السنة المذكورة فأجابته حمير وهمدان وسائر أهل المغرب (بلاد كحلان عفار والاشمور ومسور) وتركوا الشريف الزيدي وبايعه من علماء الزيدية مطرف بن شهاب] الخ.

وبالرجوع إلى (أنباء الزمن) حوادث سنة ٤٠٠ نجد النص التالي: "ودخلت سنة ٤٠٠ فيها وصل المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني رحمه الله تعالى إلى جهة البون فأجابته حمير وهمدان والمغرب ومالوا عن الزيدي وقد كان خرج إلى مغارب صنعا ودعى إلى نفسه ثم رجع إلى بيت بوس فأقام فيها أياماً" إلى آخره.

تحريف ترجمة الإمام الحسين بن القاسم العياني التي ذكر بأنه نقلها عن (أنباء الزمن)

وأكتفي في هذه الحلقة بما سبق خشية التطويل على القارئ والملل، وأختتم الحلقة بطائفة صغيرة من الأكاذيب المسندة التي ادعى ويدعي أن لها سند صحيح وهي غيوض من فيض:

علم السنة في شهارة وحكاية بيت الشافعي:

- ص ١٠٥٩ هجر: "كما انتشر فيها علم السنة وذلك بعد مهاجرة الإمام المجتهد المطلق محمد بن إسماعيل الأمير صاحب (سبل السلام) رحمه الله إليها سنة ١١٤٠ بعد عودته من مكة المكرمة وذلك حينما تصدر للتدريس في شهارة وقصده الطلاب من سائر هجر الأهنوم المعروفة آنذاك، فانتشر فيها علم السنة وانتفعوا به وحافظوا على التمسك بها في شهارة وبقية هجر الأهنوم واستمروا على هذه الحال حتى جاء الإمام المنصور محمد بن يحيى حميدالدين إلى الحكم وسكن الأهنوم ثم القفلة فكلف القاضي عبدالله بن أحمد الشماحي وعلماء آخرين كانوا مقيمين عنده بالانتقال إلى شهارة وغيرها من الهجر لنشر العلم وتدريس مذهب الهادوية الزيدية، وحوربت علوم السنة حتى اختفت وتوارى العاملون بها حتى لم يبق أحد يعمل بها وسمعت العالم الفاضل محمد بن عبدالصمد المتوكل الشهاري أنه كان يوجد بيت في شهارة يعرف ببيت الشافعي وأنه كان معروفاً عند الناس بهذا الاسم لأن ساكنيه كانوا على مذهب أهل السنة كما أنه عرف في صباه نساء في شهارة وهن يرفعن أيديهن عند تكبيرة الإحرام وكذلك عرف رجالاً" انتهى.

طائفة من الأكاذيب المسندة بسند صحيح كما يدعي

- وقال في صفحة ١٨٣٢ في ترجمة محمد بن إسماعيل الأمير ما نصه: "وحيثما عاد اتجه إلى شهارة سنة ١١٤٠ هـ فأقام بها نحو ثمان سنوات تصدر فيها للتدريس وانتشر بجميل مسعاه علم السنة فيها وفي كثير من هجر الأهنوم وأقبل طلبة العلم على قراءتها والعمل بها وتركوا التقليد".

- ثم كتب حاشية على الكلام السابق نصها: "ظلت شهارة وهجر الأهنوم على مذهب أهل السنة والجماعة إلى بداية القرن الرابع عشر حينما ألزم الإمام

مدارس الزيدية
تدرس كتب الحديث
ولا يلزم أن يصبح
من يدرسها على
مذهب (أهل السنة
والجماعة)

المنصور محمد بن يحيى حميدالدين سنة ١٣١٧ هـ القاضي عبدالله بن أحمد الشماحي بانتقاله إلى شهاره لتدريس كتب الهادوية ولنشر التشيع في أهلها ولقد أخبرني العالم محمد بن عبدالصمد المتوكل أنه أدرك نساءً من أهله في شهاره يرفعن أيديهن عند تكبيرة الإحرام وأنه كان يوجد بيت في شهاره يعرف ببيت الشافعي لأن ساكنيه كانوا على مذهب أهل السنة وقد تقدم ذكر هذا في شهاره".

وأقول تعليقاً على هذا الكلام المسند بعضاً منه إلى السيد العلامة محمد بن عبدالصمد المتوكل رحمه الله: أنا من شهاره وأهل شهاره أدري بشعابها وتاريخها فهي مذ كانت في عصر الأمير ذي الشرفين إلى عصر الإمام القاسم وأولاده إلى عصر الإمام المنصور محمد بن يحيى حميدالدين زيدية المذهب، هجرها معروفة طوال هذا التاريخ بتدريس الكتب المعتمدة عند الزيدية وإن درس فيها كتب الحديث ففي كل مدارس الزيدية تدرس مثل هذه الكتب ولا يلزم من تدريسها أن يصبح أهلها على مذهب (أهل السنة والجماعة) الذين يقصدهم الأكوغ.

أما أن يتخذ رفع بعض نساء أو رجال الأيدي عند تكبيرة الإحرام دليلاً على التسنن فدليل أوهى من خيط العنكبوت وأدعى للمضحك. وأما بيت الشافعي الذي ذكره واستدل بتسميته على أن ساكنيه كانوا على مذهب أهل السنة فهو بيت مملوك لأسرة من أولاد المتوكل على الله إسماعيل ما حاد ولم يحد أحد منهم عن مذهب آبائه.

الرفع والضم والتأمين مذهبنا :

- قال الأكوغ في ترجمة الإمام المهدي محمد بن المطهر ص ٧٩٩: "ومن شعره ما أخبرني به القاضي العلامة علي بن علي القاضي العمري الأهنومي: الرفع والضم والتأمين مذهبنا ومذهب الآل والأصحاب والفقهاء ما كان تركي له والله من ملل لكن خشيت على نفسي من السفهاء" نسب الشعر إلى الإمام محمد بن المطهر برواية القاضي علي بن علي العمري وهو من نفس طينة الأكوغ ليس له معرفة بالعلم وقد اعتمد عليه الأكوغ في تراجم هجرة معمرة فحشاها بالأكاذيب، ومن ذلك ما وصف به العلامة حسين بن أحمد الشرفي.

وصلتني رسالة
من العلامة يحيى
الشرفي يشكو
فيها ويكذب ما
كتبه الأكوغ في
ترجمته

وقد وصلتني رسالة من العلامة يحيى بن قاسم بن علي الشرفي يشكو فيها ويكذب ما كتبه الأكوغ في ترجمته ص ٢٠٩٤ هجر العلم، إذ قال الأكوغ ما نصه:

"يحيى بن قاسم بن علي الشرفي: له مشاركة في الفقه والفرائض، يرى عدم جواز الصلاة بعد إمام ليس هادوي المذهب والعقيدة، كما أن صلاة الجمعة لا تتعقد لعدم وجود إمام علوي فاطمي يحكم اليمن.

يقوم بتحفيظ الطلبة المبتدئين قصار السور في المعهد، مولده في معمرة سنة ١٨٣٨ هـ". انتهى كلام الأكوغ ولم يسند الترجمة إلى أحد لكنه ذكر أنه اعتمد في تراجم هجرة معمرة على علي بن علي العمري المذكور وسأشر نص

رسالة الشرفي في كتابي إن شاء الله.

إرشاد السامع

- ذكر الأكوغ في كتابه (المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن) ص ٨٨ أن للمتوكل على الله إسماعيل رسالة أسماها (إرشاد السامع إلى جواز أخذ مال الشوافع) كما ذكرها في كتابه (هجر العلم) ص ١٠٧٩ وقال في الحاشية: أخبرني القاضي محمد بن يحيى بن محمد الإرياني رئيس الاستئناف الأسبق أن هذه الرسالة موجودة لدى الشيخ علي بن يحيى الجبي كما أخبره هو نفسه والله أعلم.

أسند الأكوغ هذه الكذبة الكبيرة إلى معاصر ميت وسند الميت إلى شيخ نكرة، انظر مقدمة أعلام المؤلفين الزيدية ص ٣٦، ومصادر التراث في المكتبات الخاصة ج ٢ ص ٦٠١.

جز شعيرات من الدقن:

- قال الأكوغ في ترجمة السيد يحيى بن محمد بن عباس رئيس الاستئناف السابق: "وأنه -أي المترجم له- جز شعيرات من دقنه -كما أخبرني القاضي حسين السياغي- وألقاها بين يدي الإمام بعد عودته من إيطاليا لإثارة غضبه على السياغي حتى يتخلص منه" ص ١١٠٤ هجر، وكذلك كررها ص ١٥٣٨. وهناك أكاذيب أخرى أسندها إلى السياغي أيضاً في مواضيع متعددة من كتابه، وقد ختم ترجمة السيد يحيى بن محمد عباس بكذبة من كيبه شأنه في ذلك مع تراجم كثير من العلماء الذين قتلوا في أحداث الثورة تبريراً لقتلهم، إذ قال ما نصه:

"واستمر في رئاسة الاستئناف حتى قامت الثورة التي أحلت الجمهورية محل الملكية فأرسل له قادة الثورة من يدعوه ليحضر إلى مقر القيادة فحضر ولكنه أظهر استنكاراً شديداً لما قاموا به وأرعد وأبرق فأطلق عليه الضابط غالب الشرعي نار مسدسه صبيحة يوم الثورة الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ = ٢٦ إيلول سنة ١٩٦٢م فقتل وكان مولده في شهارة في صفر سنة ١٣٠١هـ" انتهى.

أقول ما إن وصل رئيس الاستئناف السابق قاعة العرضي إلا وباشره غالب الشرعي بالقتل قبل أن يتكلم وقتل معه حفيده الشهيد محمد بن عبدالرحمن بن يحيى ظلماً وعدواناً، والحادثة مشهورة.

حادثة طريفة:

- قال الأكوغ ص ٧٤١، في تعليقه لأسباب مقتل الإمام المهدي أحمد بن الحسين الملقب بأبي طير: "أن المؤرخ حسين بن عبدالرحمن الأهدل ذكر في تاريخه (تحفة الزمن) أن الإمام أحمد بن الحسين كان في الباطن يذهب مذهب أهل السنة وإنما يتستر من أهل زمانه، وله كتاب في تاريخ الخلفاء رتبته على ترتيب أهل السنة فقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ومن

أسند كذبة
جواز أخذ مال
الشوافع) إلى
معاصر ميت،
وسند الميت إلى
شيخ نكرة

أسند خوفاً من
اتهامه بالكذب
مواضيع متعددة
إلى القاضي
السياغي

المحتمل أن يكون هذا هو السبب".

أي السبب في قتله، وقد وضع الأكوغ في نفس الصفحة حاشية ظريفة على النص، حيث قال ما يلي: "ومن هذا القبيل ما يروى أن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين كان يميل في قرارة نفسه إلى كتب السنة وكان معه سبيل السلام للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير فعرف والده بذلك ولم يك راضياً عن ابنه. يلاحظ لهذا الكتاب لأنه كان جارودياً وصادف أن نزلت الأمطار فخر السقف وأصابت بعض الكتب فقال المنصور السبب في ما حدث وجود سبيل السلام بين الكتب. وقد سمعت هذا الخبر من القاضي عبدالله الحجري ولعله سمعه من أخيه محمد وهو يرويه عن العلامة عبدالرحمن الشامي الذي كان أعرف الناس بأحوال المنصور وأحوال ابنه الإمام يحيى لقربه منهما صهراً" انتهى.

كما روى الكثير
من الغرائب
والعجائب التي
لا أساس لها إلا
في خياله

أكاذيب مستندة في ترجمة السيد أحمد المطاع:

- ومن هذا القبيل ما رواه عن العزي السنيدار المتوفى بصنعا في الثالث من شهر رمضان سنة ١٣٧٩ هـ عن آراء المطاع في أئمة اليمن ص ٩٦٣-٩٧٠ وما رواه عن السنيدار في أكثر من موضع من كتابه من الغرائب والعجائب التي لا أساس لها إلا في خياله وخیال من روى عنه.

ومن المضحكات ما حكاها مرسلًا غير مسند عن محمد بن أحمد بن محمد المطاع ص ٩٧٢ قال: "ومع هذا فقد كان يلذ لمحمد الخروج عن المؤلف تحدياً لما درج عليه الناس فقد سمي ابنه فاروقاً تيمناً بلقب الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسمى ابنته هنداً على اسم هند بنت عتبة أم معاوية بن سفيان وذلك ليغيظ العلويين وشيعتهم الخ" ولا تعليق.

البدر يفتكر في قتل أبيه (رواية مستندة):

- قال الأكوغ ص ١٥٣٩ من هجره في حاشية على ترجمة السياغي ما نصه: "أخبرني الأخ يحيى بن محمد الباشا أن البدر أوعز إلى والده محمد بن أحمد باشا حينما كان نائباً للإمام في الحديدة أنه يريد أن يقضي على والده الإمام أحمد، وأنه يريد من النائب مساعدته على ذلك فأجاب عليه مغضباً إياك إياك أن تفكر بمثل هذا الكلام فلو يعلم الإمام لقضى عليك في غمضة عين ولعله أي البدر يريد أن يوقع بالنائب، كما أراد أن يقضي على السياغي بالدس والوقية" انتهى، ولا تعليق.

وللموضوع صلة..

من المضحكات ما
حكاها مرسلًا غير
مسند عن محمد
ابن أحمد المطاع

البهرة في اليمن

كيف يفكرون وماذا يعتقدون؟

إعداد / قسم التحرير

عرفت اليمن الدولة الصليحية التي حكمت ما بين عام [٤٣٩ - ٥٣٢ هـ] والتي يذكر المؤرخون أنها وحدت اليمن وكانت امتداداً للدولة الفاطمية في مصر، وكان من أشهر ملوكها السيدة أروى بنت أحمد "المرأة الوحيدة التي ملكت اليمن في العهد الاسلامي" والتي كانت لها مبررات ومشاريع خيرية مشهورة، ولها مكانة كبيرة في الدعوة الفاطمية، حيث كانت أول شخصية تولت قيادة الدعوة الفاطمية نائبة عن الإمام المستتر بعد استشهاد الإمام الطيب عام ٥٢٦ هـ وإليها يعيد البهرة اختيار أول الدعاة المطلقين النائب، ذؤيب بن موسى.

هذه الملكة لا يعرف اليمنيون الكثير عنها ولا عن الدعوة الفاطمية التي مثلتها، بالرغم أن أتباع هذه الدعوة في اليمن ظلوا يحافظون على وجودهم حتى يومنا هذا، ونظراً للغموض الذي يلف أفكار هذه الطائفة في عصرنا هذا، والذي جاء من حرص أصحابها على عدم نشرها أو إطلاع الآخرين عليها، بغض النظر عن الدوافع التي كانت وراء ذلك الحرص، إلا أنه قد أدى إلى شيوع أقاويل وآراء وأخبار عن هذه الطائفة ودعوتها، معظمها منقول من كتب الآخرين، أو تعتمد على الإشاعات التي يبثها المخالفون لها، ما جعل الناس ينفرون منها ويحكمون عليها وعلى أتباعها بالخروج عن الدين.

تواجد

وفي الآونة الأخيرة في اليمن وخاصة بعد قيام دولة الوحدة التي تبني دستورها التعددية السياسية والحزبية بدأت هذه الطائفة بالتعبير عن نفسها بشكل واضح وعلني، بطرق مختلفة كان أبرزها:

انفتاح البهرة
يستفز دعاة
التكفير

- الزيارات الرسمية المتكررة لسلطان البهرة والاحتفالات التي رافقت تلك الزيارات، واستقبال كبار رجال الدولة للسلطان.

- وصول وفود وجماعات من مختلف أنحاء العالم لزيارة مرقد الدعاة الفاطميين في اليمن والتي تم ترميم وتجديد الكثير منها.

- افتتاح مقر رسمي للطائفة في صنعاء يقوم بإدارته ممثل السلطان.

- نشر بعض الكتب الخاصة بالدعوة الفاطمية بشكل علني وبيعها في معارض الكتاب التي تقام في اليمن.

هذا الانفتاح والظهور استفز الذين يرون في البهرة (الإسماعيلية) فئة خارجة عن الدين وقاموا بحملات إعلامية عليها عبر خطب الجمعة والصحافة تحذر المسلمين من السماح لها بالظهور وتستنكر على السلطة مقابلاتها لسلطانها واحتفائها به رسمياً، كما أباح قاتل جارالله عمر دم جميع أبناء هذه الطائفة ودعى مجموعته إلى اعتبار أبنائهم أحد الأهداف التي يجب القضاء عليها..

مأخذ

وبشكل عام هناك مجموعة من القضايا والمسائل التي تتهم بها الطائفة الإسماعيلية (البهرة)، ويتم طرحها:

١- أنها تأثرت بالديانات الأخرى في تصوراتها العقائدية المتصلة بالتوحيد.

٢- أنها تقول أن للقرآن ظاهر وباطن، وتُفسر التكاليف الإسلامية تفسيراً خاصاً.

٣- لا تؤمن بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وترى أن الأحق بالنبوة هو الإمام علي عليه السلام.

٤- لا تؤمن بالآخرة وتؤمن بتناسخ الأرواح في الدنيا، وبذلك تُسقط العقاب والثواب في الآخرة.

٥- لا تؤمن بمفهوم العبادات كما هي عند بقية المسلمين، كالصلاة والصوم والحج، وتُسقطها عن منتسبيها عند وصولهم إلى درجة معينة.

٦- تخفي عقيدتها ومذهبها عن الناس ولا تقوم بنشره ولا تسمح لأحد بالاطلاع عليه.

٧- تمارس بعض الطقوس العبادية التي لا صلة لها بالاسلام وتقدس سلطانها إلى درجة الألوهية.

٨- تقوم بممارسات وعادات داخل الطائفة بعيدة عن الدين.

وهذا الموقف من الفاطميين أو الإسماعيليين أو البهرة كما يسمون أنفسهم أو الباطنية كما يسميهم من يختلف معهم، ليس مقصوداً على العقود الأخيرة، ولا على بعض المسلمين، بل أن المذاهب الإسلامية كما في اليمن تاريخياً اختلفت

البهرة في نظر
مخالفها نموذج
متحرف ومخالف
للدين

معهم، ودخل بعض أئمة الزيدية في صراع معهم رغم أنهم محسوبون ضمن القسم الشيعي من المسلمين.

ومن هنا تبدو الأهمية القصوى في ضرورة إطلاع المسلمين على معتقدات وأفكار وآراء طائفة البهرة، وعلى هذه الطائفة تقع مسؤولية التعريف بنفسها والعمل على نشر آرائها في العلن حتى لا تظل هذه الفئة منغلقة على نفسها ويظل الآخرون يحكمون عليها من خلف جدار عال يفصلهم عنها، وبدوره سيؤدي إلى بقاء أفكار هذه الطائفة بعيداً عن أشعة شمس الحوار والمراجعة وسيساعد على بقاء أفكارها بطبقة عازلة تجعل من المستحيل على غيرهم رؤيتها على حقيقتها أو الحكم عليها بعدل وأمانة.

بالإضافة إلى أن ذلك النهج سيمنع هذه الفئة نفسها من رؤية أي جوانب القصور أو الخلل في بنائها الفكري أو العقائدي، فتجمد عليه وتتعصب له، وتستمر في بعدها عن بقية أفراد المجتمع الإسلامي والانعزال عنه والحذر منه. وفي الآونة الأخيرة يبدو أن البهرة أرادت أن تكسر الطوق التاريخي الذي منعها من تعريف الآخرين لرؤيتها الدينية أو السماح لهم بالإطلاع عليها، وربما أنها وجدت أن الوقت قد حان وأن الفرصة أصبحت مناسبة للإعلان عن تعاليمها وتاريخها ولو في إطار محدود خارج طائفاتها وبصورة مختصرة ومركزة، ولاشك أن هذه الخطوة لو قوبلت بنوع من الحوار والنقاش الجاد والمسئول من بقية المسلمين خاصة فيما قامت بطرحه عن نفسها فإنه سيؤدي حتماً إلى توسيع دائرة الحوار وقضاياها بين فئات المجتمع الواحد، وسيمنح كل الأطراف المراجعة والتقييم، وهذا هدف سامي في حد ذاته.

ومن هنا تأتي أهمية نشر محتوى الكتاب الذي صدر عن طائفة البهرة من الجامعة السبئية التابعة لها في الهند، والذي يقوم بتوزيعه مكتب ممثل السلطان في صنعاء، ويحمل عنوان "لمحة عن الدعوة الفاطمية في ضوء تعليمها وسير تاريخها".

بدورنا نضع أمام القراء أهم الفقرات الواردة في الكتاب لتكون فاتحة حوار قد تسوق إلى مواقف ورؤى أكثر انفتاحاً:

عن الشهادتين والإيمان يقولون:

(الشهادة شرف الله عباده الموحدين بنعمة عظيمة، لا تساويها نعمة، وكرمهم بجنة كبرى لا تعادلها منة. هي كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" جعلها الله سبحانه أساساً للدين، وأقامها دعامة للعلم اليقين، وشيدها مركزاً للعمل المكين. بها ثبت الله أقدام المؤمنين فلا تتزعزع أبداً أمام الأحداث، وبها ربط الله على قلوب المسلمين فلا تتردد دأباً إزاء الواجب من مطالب الحياة).

وتعتقد الطائفة كما ورد في كتاب دعائم الإسلام أن: (الإيمان قول باللسان، والتصديق بالجنان وعمل بالأركان". وأن الإيمان شهادة "أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، والتصديق بأنبيائه ورسوله، والأئمة، ومعرفة إمام الزمان- والتصديق به والتسليم لأمره، والعمل بما افترض الله تعالى على عباده

تتحمل الطائفة
مسئولية
التعريف بنفسها
بما يسمح
بالمراجعة
والتقويم

الشهادتان أساس
الدين، ومعرفة
إمام الزمان أحد
مقتضياتها

العمل به، والانتهاه عما نهى عنه، وطاعة الإمام والقبول منه).
وهكذا تؤكد الجماعة على وجوب القيام بجميع دعائم الإسلام وأحكامه
بصورة مستمرة وواعية، وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والحكومات،
وتبرئ الجماعة إلى الله العلي القدير من أي عطل أو يعطل ركناً من أركان
الشريعة، ومن أي رفض أو يرفض حكماً من أحكام الإسلام).

الرسول هو
الرحمة العظمى
للعالمين والمنة
الكبرى على
المؤمنين

- مكانة الرسول (ص) عندهم:

(إن ولاية الله تعالى ومحبته وولاية الرسول ومحبته واجبة على المسلمين
جميعاً، لأن الله وليهم كما قال "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".

ومحمد رسول الله (صلع) هو الرحمة العظمى للعالمين: كما قال سبحانه
"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". وهو المنة الكبرى على المؤمنين: "لقد من
الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين". و"كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون".

ويفهم أبناء الدعوة الفاطمية ويعتقدون مع المسلمين جميعاً بأن الذي أنزل
الله عليه "الذكر" هو النبي المرسل، بيد أنهم، في نفس الوقت، يفهمون ويعتقدون
بأن الذي اختصه الله لحفظ هذا "الذكر" وأناطه به، ليس هو الأمة في مجموعها،
ولا العلماء على اختلاف درجاتهم ووجهاتهم، وإنما هو بالضبط: وصي الرسول،
ثم الإمام أو من يقوم مقامه في دور الستر، بإذنه ونصه وتوقيفه).

- موقفهم من القرآن الكريم:

(اختص الله المسلمين بكتابه الحكيم، الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه" حيث يقول الله تعالى في وصفه ووصف أتباعه: "الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل
فما له من هاد").

المسلمون إخوة
يجب أن يكونوا
يبدأ واحدة

- نظرتهم إلى المسلمين والمذاهب:

(قد حوتها كلمة الشهادة في شطريها، فجمعت أبناءها أبناء التوحيد في
مشارك الأرض ومغاربها على مركز واحد: مركز الأخوة الدينية الإسلامية،
وصيرتهم متكاتفين في حفظ كياناتهم الديني، متكاتفين لصيانة حقهم الروحي.
يقول الله تعالى في هذا الشأن: "إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا
الله لعلكم ترحمون".

ويقول رسول الله (صلع): "المسلمون يد واحدة" ويقول أيضاً: "المؤمن أخو
المؤمن" ويقول كذلك: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً".

ثم إن الأمة الإسلامية بطبيعة الحال وكما هو الملحوظ من واقع تاريخها الزمني تعددت بعد وفاة رسول الله (صلع) طرقها، وتنوعت مذاهبها، وتفتنت مشاربها. ولكن بفضل شهادة التوحيد وبفضل كتاب الله المجيد، وبفضل الرسول الأمين، رسول رب العالمين، - قد احتفظت الأمة الإسلامية بكيانها وحفظت شخصيتها، كاحتفاظ الصورة الإنسانية بكيانها وحفظها لشخصيتها، رغم اختلاف أعضائها الظاهرة وتعدد قواها الباطنة.

أجل! إن تعدد المسالك في الأمة الإسلامية وتنوع المشارب والمذاهب بين أبنائها، لا يجب أن يكون مدعاة للفرقة والتخاصم على مستوى الأفراد، كما لا ينبغي أن يكون سبباً للتنازع والتخاصم على مستوى الجماعات. لأن هذا التعدد في المسالك، وذلك التنوع في المذاهب والمشارب هو في الحقيقة ونفس الأمر تعبير حي عما في مبادئ الإسلام من إمكانات روحية ليس لها حدود، كما هو تطبيق عملي لما في الإسلام من قوى مادية ومعنوية لا تعرف القيود ولا الجمود).

التنوع في المذاهب
والمشارب إمكانات
روحية ليست لها
حدود

- منزلة الإمام علي (ع) :

(أخذ زعماء الدعوة الفاطمية على عاتقهم الاهتمام البالغ بتربية الأفراد تربية إسلامية سليمة، فنقشوا عظمة كلمة الشهادة في صدور أبنائها، وطبعوا كمال هذا الدين الحنيف على نفوس أتباعها، فربوهم وهذبوهم وعودوهم على ذلك منذ نعومة أظفارهم، وفي جميع أدوار حياتهم، وذلك على مختلف مراحل الجماعة، وعلى مدى تاريخها الطويل. سالكين في تحقيق هذه الغاية النبيلة مسلك الذي أقامه رسول الله (صلع) بابا لمدينة علمه النبوي، وسائرین لإدراك تلك البغية الجلييلة على منهاج الذي أنزله (صلع) من نفسه منزلة هارون من موسى. ذلك هو علي بن أبي طالب (ص ع): ربيب رسول رب العالمين ووصي خير المرسلين وأمير المؤمنين، وعنه أخذ أبناء الدعوة الفاطمية جميع أحكام الدين التي جاءت مع خاتم النبيين وسيد المرسلين، كما ساروا على سياسته في جميع شؤونهم العلمية والاجتماعية).

- ولاية الأئمة عندهم :

(ومع وجوب ولاية الله ومحبته، ووجوب ولاية رسول الله ومحبته، يعتقد أبناء الدعوة الفاطمية بوجوب ولاية الأئمة القائمين بعد رسول الله ووصيه وبوجوب محبتهم أجمعين. كما يعتقدون أيضاً في تسلسلهم وقيامهم بالنص والتوقيف: إماماً بعد إمام، على مدى الدهور والأزمان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وقد قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون").

أخذ أبناء
الدعوة من
الإمام علي جميع
أحكام الدين
التي جاءت مع
خاتم النبيين

- الدعاة :

(وفي معتقد الطائفة أن الإمام يستتر بموجب أمر الله وحكمته، وعند استتاره

يقوم الداعي المطلق مقامه - بالنص والتوقيف - نائباً عنه.

وهكذا تضطلع شخصيته "الداعي الفاطمي" بمسؤوليته العظمى في زمن استتار الإمام، وقد أصبحت بذلك أساس نظام "الدعوة" ومحورها، والمسئولية الكبرى التي يقوم بها "الداعي الفاطمي" ويسعى دأباً لتحقيقها، رغم المثبطات والعوائق، هي إقامة شعائر الدين، وتربية أفراد المؤمنين، والغرض المقصود من وراء ذلك هو نجاة نفوس العباد، ونشر المحبة والسلام في ربوع البلاد. وبفضل هذا النظام المحكم الدقيق المستمر حياً نشيطاً خلال قرون عديدة، وهي تزيد على ثمانية قرون، حفظت جماعة البهرة المتمسكة بالدعوة الفاطمية كيانها واحتفظت بوجودها، وتميزت بشخصيتها وأعمالها، مع ما تحملته "الدعوة" وقاساه "الدعاة" من الأهوال الجسام والخطوب العظام، في مختلف البيئات والبلدان من جانب متعصبي العلماء وطفاة الحكام).

- الانكفاء:

(إن من التوجيه الاجتماعي للطائفة عدم التدخل في شؤون الآخرين، وكل اهتمام ذوي المسئولية في الجماعة، وكل هموم الذين هم في موقع القيادة والريادة منصرف إلى تنظيم أمور الجماعة وترقية أبنائها دينياً وعلمياً ومادياً، حتى يكونوا جميعاً أعضاء صالحين في المجتمع الذي فيه يتواجدون أو يعيشون. فانطلاقاً من هذه الفلسفة التربوية التعليمية، وسيرا مع هذا التوجه الاجتماعي الرشيد، لم ترد طائفة البهرة إخراج أي فرد، أو جماعة، فهي لا تجبر، ولم تجبر، ولن تجبر أي شخص على الدخول في مذهبها. كما أنها لا تغري، ولم تغر، ولن تغري أحداً على اعتناق منهجها وسلوك طريقها. حتى أنها لم تأذن بنشر عقائدها وإذاعتها بين الناس، بل اتخذت لنفسها مجالس خاصة في مراكز معينة لهذه الأغراض المحددة، وذلك احتراماً منها لحريات وعقائد الآخرين، وابتعاداً عن كل ما يثير فيهم سوء الظنون).

- عهد الدعوة:

(تاريخ "الدعوة الفاطمية" في الدور المحمدي، يتميز بأربعة عهود أساسية: العهد الأول: عهد الرسالة الذي بدأ وانتهى مع محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين. العهد الثاني: عهد الوصاية الذي بدأ وانتهى مع علي بن أبي طالب خاتم الوصيين صلوات الله عليه. العهد الثالث: عهد الإمامة الذي بدأ مع أول إمام وهو الإمام الحسن (ص ع) ولا يزال قائماً مع سائر الأئمة الظاهريين والمستورين إلى قائمهم - صلوات الله عليهم أجمعين.

العهد الرابع: عهد الدعاة المطلقين الذي بدأ بعد استتار الأئمة مع أول داعٍ مطلق، ولا يزال مستمراً مع الدعاة المطلقين - رضوان الله عليهم أجمعين - إلى أن أوان ظهور الإمام صلوات الله عليه).

الإمام يستتر
بموجب أمر الله
وحكمته،
والداعي المطلق
يقوم مقامه بالنص
والتوقيف

الانكفاء
بالنسبة للبهرة
فلسفة وراءها
احترام الذات
والآخر

- المراحل الأربع لعهد الإمامة :

(ثم إن عهد الإمامة ذاته ينقسم إلى أربع مراحل:
- المرحلة الأولى لعهد الإمامة: بدأت مع الإمام الحسن الإمام الأول (ص ع)، واستمرت مع الأئمة بعده إلى الإمام محمد بن إسماعيل الإمام السابع (ص ع).
- المرحلة الثانية لعهد الإمامة: بدأت مع الإمام عبدالله الإمام الثامن (ص ع)، واستمرت مع أئمة الستر حتى الإمام الحسين بن أحمد الإمام العاشر (ص ع).
- المرحلة الثالثة لعهد الإمامة: بدأت مع "الإمام المهدي - الإمام الحادي عشر (ص ع)"، واستمرت إلى الإمام الطيب الإمام الحادي والعشرين (ص ع).
- المرحلة الرابعة لعهد الإمامة: بدأت مع الإمام (ص ع) واستتار أبنائه ولا تزال الإمامة مستمرة متسلسلة مع الأئمة المستترين - صلوات الله عليهم أجمعين والدعاة المطلقون قائمون في مقامهم، نائبون عنهم إلى أن يظهر الإمام ويتسلم الأمانة منهم).

لا تزال الإمامة
مستمرة مع
الأئمة المستترين
من أبناء آخر
الأئمة
الظاهرين

- المرحلتان لعهد الدعاة المطلقين :

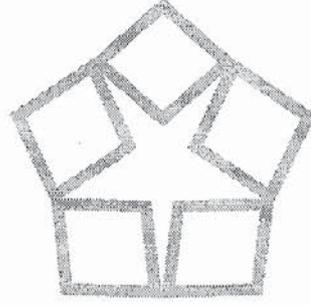
(عهد الدعاة المطلقين الفاطميين القائمين في مقام الأئمة الفاطميين، النائبين عنهم في زمن استتارهم، ينقسم بدوره إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى لعهد الدعاة المطلقين الفاطميين في اليمن:
وذلك من حين انتقال مركز الدعوة من مصر إلى اليمن بعد استتار الأئمة الفاطميين، على أيدي ثقات، فضلاء كرام، أمناء، بوساطة السيدة الفاضلة الحرة الرضية، خالصة الإمام، وحيدة ملوك الزمان، أروى بنت أحمد ملكة اليمن. وقد قامت نائبة عن الإمام المستتر سنة ٥٢٦ هـ، واستمرت كذلك حتى توفيت في سنة ٥٣٣ هـ. بعد ما أقامت أول داع مطلق وهو سيدنا ذؤيب بن موسى الوادعي، الذي استوى على عرش الدعوة سنة ٥٣٣ هـ وانتقل عام ٥٤٦ هـ. واستمر الأمر كذلك في اليمن يقوم داع بعد داع بالنص والتوقيف من السابق على من يقوم مقامه وتسلسل كذلك إلى آخر داع مطلق في اليمن وهو الداعي المطلق الثالث والعشرون سيدنا محمد عزالدين.

- المرحلة الثانية لعهد الدعاة المطلقين الفاطميين في الهند:

وذلك من حين انتقال مركز الدعوة من اليمن إلى الهند، مع قيام أول داع مطلق في الهند وهو الداعي المطلق الرابع والعشرون من سلسلة الدعاة المطلقين الفاطميين سيدنا يوسف نجم الدين.
وقد قام بنص الداعي الثالث والعشرين سيدنا محمد عزالدين، ولا يزال مركز الدعوة حتى الوقت الحاضر في شبه القارة الهندية. والدعوة في عصرنا هذا ممثلة في شخص الداعي المطلق الفاطمي لسيدنا محمد برهان الدين الداعي الثاني والخمسين - الذي استوى على عرش الدعوة عام ١٣٨٥ هـ بعد وفاة والده المقدس في أعلى عليين الداعي الحادي والخمسين سيدنا طاهر سيف الدين - أطال الله بقاءه الشريف في حفظ شريعة الإسلام والقيام بأركان الدين).

مثلت الملكة أروى
الداعي المطلق
للبهرة، ويمثله
اليوم السيد
محمد برهان
الدين



نحو ثقافة قرآنية



الوقف.. المؤسسة



الاجتماعية الكبرى

في اليمن

أذونات الخزانة



المؤثرات والانعكاسات

تأليف
د. محمد بن عبد الوهاب

معاني ألفاظ القرآن (٣)

سليم لطف القيرز

لتحويل تلك الأوامر إلى ممارسة وعمل وفق فهم وإدراك وفقه قائم على العلم والمعرفة.

إقامة الصلاة

قام الرجل: نهض.

قام الرجل إلى كذا: ذهب إليه، قال تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة) [المائدة: ٦]. وقام الرجل بالأمر: تولاه ونهض بأعبائه. وقام الرجل مقام غيره: حل الرجل محل غيره، قال تعالى: (يقومان مقامهما).

ويقوم الشيء، يتحقق، قال تعالى: (ويوم تقوم الساعة) [الروم: ١٢] يوم يقوم الحساب.

أما إذا كان الفعل متعدياً فله معانٍ أخرى.

أقام الشيء: عدّله وأزال اعوجاجه. وأقام الجدار: بناه وأحكم بناءه، فإذا لم يكن محكماً في بنائه لم يقم بل يتهدم. وأقام الصلاة: أداها وأحكم أداءها، فإذا لم تكن كاملة لم تُقم.

وأقام دين الله: أظهره وعمل بتعاليمه. وأقام الوزن: وفاه حقه. وأقام لفلان وزناً: اعتدّ به ورفع منزلته. وأقام بالمكان: استقر فيه.

أحد صور الثقافة القرآنية التي توصل الفرد المسلم إلى حالة من الوعي القادر على إيصاله إلى ساحة التدبر والغوص في معاني القرآن الكريم؛ قدرة التالي لكتاب الله على معرفة معاني الألفاظ والكلمات التي تقرأ عليه أثناء تلاوته، إذ الملاحظ أن هناك ألفاظاً وكلمات تتضمنها سور القرآن، ولا نعرف معناها، وهذا يجعلنا نكتفي بالمعنى الإجمالي لتلك الألفاظ ضمن السياق العام الذي جاءت فيه.. وهذا لا شك يحرمنا من درجة التدبر الواعي التي هي أساس الفهم الصحيح لمراد الله في كتابه الكريم.

ومن هنا فإن فهم مجموعة من معاني كلمات وألفاظ القرآن الكريم الغائبة عن فهمنا، إما بسبب جهلنا لمعاني تلك الكلمات، أو لعدم استخدامنا لتلك الكلمات في حياتنا العامة، يؤدي إلى رفع مستوى قدرتنا على استيعاب القرآن الكريم والتدبر فيه، ويمنح تلك الكلمات الفرصة من جديد لتعود إلى الاستخدام والتناول فيزداد بذلك ويتحقق الترابط بين حياتنا وأوامر الله وتوجيهاته، كما يوفر بيئة صالحة

وأله وسلم للجيش يوم أحد.
وقال تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعوثاً صدق) [يونس: ٩٣]، أي أنزلناهم مكاناً موافقاً مرضياً. والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، يقولون: رجل صدق ومقعد صدق، وهكذا.

خَبَالًا

الخبال: النقصان والفساد الذي يورث الاضطراب، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً) [آل عمران: ١١٨] أي لا يدخرون وسعاً في إفسادكم، وقال تعالى: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) [التوبة: ٤٧] أي فساداً.

قَسَطٌ

وهي من الألفاظ المشتركة في المعنى وضده كما سيأتي:
- قَسَطٌ يَقْسُطُ قَسْطًا: جار واحد عن الحق فهو قاسط، أي ظالم، والجمع قاسطون، قال تعالى: (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) [الجن: ١٤]، أي الظالمون الذين لم يسلموا.
- قَسَطٌ يَقْسُطُ قَسْطًا: أي عدل فهو قاسط، وهذا أقسط من ذاك أي أعدل، قال تعالى: (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة) [البقرة: ٢٨٢].
- أقسط يُقسط: عدل، والمقسط هو العادل، قال تعالى: (إن الله يحب المقسطين) [المائدة: ٤٢]، وهذه تختص بالعدل وليس ضده.

الخير

- ما فيه منفعة وصلاح وهو ضد الشر بوجه عام.
- أداة للنفع والصلاح كالمال والخيول.
- اسم تفضيل أصله أخير حذفت همزته على خلاف القياس.
فالأول قوله تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) [البقرة: ١٠٥]، وقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) [الزلزلة: ٧] والثاني قوله تعالى: (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين) [البقرة: ٢١٥]، وقوله تعالى: (وإنه لحب الخير لشديد) [العاديات: ٨].
والثالث قوله تعالى: (ذلكم خير لكم عند بارئكم) [البقرة: ٥٤].

البيئة

- باء بكذا: رجع بكذا، حيث ورد في القرآن بمعنى الرجوع بالسوء، ومنه قوله تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأواوا بغضب من الله) [البقرة: ٦١].
- بوء فلان فلاناً منزلاً: أي أنزله منزلاً. وبوأته له: أي هيأته له. وبوأته فيه: أي أسكنته فيه، ومن هذه المعاني قوله تعالى: (وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً) [الأعراف: ٧٤] أي مكن لكم وأنزلكم.
وقال تعالى: (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال) [آل عمران: ١٢١]، أي تنزل كلا منهم مكاناً وذلك هو ترتيبه صلى الله عليه

فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) [البقرة: ٥٥].

٢- نَظَرَ في الشيء: فكَرَّ وتَأَمَّل فيه، قال تعالى: (فنظر نظرة في النجوم، فقال إني سقيم) [الصافات: ٨٨، ٩٩] تأمل وفكر. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) [الحشر: ١٨] أي لتتأمل ولتفكر ماذا عملت ليوم الحساب. وقال تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) [الأعراف: ١٨٥]، أي ليتفكروا.

٣- ونظر الرئيس إلى فلان: أي عطف عليه وشمله برعايته، قال تعالى: (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) [آل عمران: ٧٧]، أي أن الكفار لا تنالهم رحمته.

٤- نظره: تأنى عليه ولم يُعجله، تقول: أنظرنني حتى أدركك، قال تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) [البقرة: ٢١٠]، أي يترقبون وينتظرون.

واسم الفاعل منه: ناظرٌ، أي منتظرٌ، قال تعالى: (فناظرة يرمج المرسلون) [النمل: ٣٥] أي منتظرة. وقوله تعالى: (إلى ربها ناظرة) [القيامة: ٢٣] أي منتظرة لرحمة ربها لتساق إلى الجنة قال تعالى: (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) [آل عمران: ١٠٧]. وقال الشاعر:

وجوه يوم بدرٍ ناظرات
إلى الرحمن يأتي بالخلاص
أي منتظرة.

ظَنَّ

الظن: ما يحصل عن أماره، فهو بهذا شك، لكن قد يلحقه تدبير فيصير ضرباً من اليقين، وليس علماً، بل هو غلبة ظن، ويلاحظ في استعمال القرآن للظن على أنه ضربٌ من يقين إذا جاء بعد الظن (أن). قال تعالى: (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) [البقرة: ٤٦]، ويقول تعالى: (وظن أنه الفراق) [القيامة: ٢٨]. وأما الظن بمعنى الشك فكثير في القرآن ومنه قوله تعالى: (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) [يونس: ٣٦]. أي شكاً.

ضن

الضنين: البخيل، وقد وردت في آية واحدة في القرآن، وهي قوله تعالى: (وما هو على الغيب بضنين) [التكوير: ٢٤].

نَضَرَ

نَضَرَ الورق والشجر: اخضَرَ وظَهَرَ حُسْنَهُ. ونَضَرَ الوجه: حسن وكان عليه رونق وطراءة، واسم الفاعل منه: ناضر، ووجوه ناضرة: أي مشرقة. ونَضَرَةُ النعيم: بهجته وبريقه، قال تعالى: (ولقاهم نضرة وسرورا) [الإنسان: ١١] أي بهجة وسرورا، وقال تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة) [القيامة: ٢٢] أي وجوه مشرقة وحسنة.

نَظَرَ

نَظَرَ يَنْظُرُ نظراً، من الألفاظ المشتركة، وتأتي لعدة معان منها:

١- نَظَرَهُ: رآه بعينه، بصره أو بصيرته، والواحدة نَظْرَةٌ، قال تعالى:

الوقف

المؤسسة الاجتماعية الكبرى في اليمن

علي محمد الفران

يمكن القول أن نظام الوقف الذي عرفه المجتمع الاسلامي منذ فجر الاسلام كان أحد الابتكارات المؤسسية التي جسدت الشعور الفردي بالمسؤولية الجماعية ونقلته من المستوى الخاص إلى المستوى العام بملء الإرادة الحرة، وقد جعل الاسلام نظام التكافل الاجتماعي مبدأ أساسياً في هذا الدين الحنيف وطريقاً يتسابق إليه كل من أراد التقرب إلى الله ونيل رضوانه، لذلك فإن التكافل الاجتماعي في مظهره وجوهره يهدف إلى تكريم الإنسان كي يسمو به إلى مدارج المثال الاخلاقي والسلوكي والانساني، كما أنه يخلق في الوسط الاجتماعي الامن والمحبة، ويزيل الضغائن والأحقاد بين الأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين، ولذلك أقبل المسلمون على وقف أموالهم وعقاراتهم، لتنفق مداخلها في مجالات البر المختلفة، وبالتالي تسهم في تنمية المجتمع بصورة مستديمة، ومن هناك كان للوقف دوراً مميزاً وإسهامات فاعلة في إقامة المؤسسات التعليمية والصحية والخيرية والاقتصادية عموماً، وكانت روافده المتعددة تصب في نهر الحضارة الإسلامية لتجعله أكثر صفاء وحيوية وخصوبة، وقد يقال أن نظام الوقف أصابه من وهن الحياة ما أصابه، ومن فساد الزمان ما أضربه من خلال نظاره وبعض أهل قوامته، وبعض الحكام، ومؤامرات أعداء الإسلام التي تكالب للقضاء على هذا النظام الفريد، باعتباره أساس الحضارة الإسلامية، مما تسبب في انحسار دوره في التنمية وضياع جزء كبير من ممتلكاته، وتكونت للوقف صورة ذهنية سالبة لدى الكثيرين انحصرت في أن الوقف مؤسسة دينية تنحصر مجالاتها في الاغراض الدينية كالمساجد والمقابر وغيرها، وأن الوقف صيغة تاريخية لا صلة بها بالواقع المعاصر، حتى صار مضرب للمثل في الإهمال.

ونظراً لغياب مفهوم الوقف لفترة طويلة عن ميدان البحوث الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فقد ضمرت المعرفة به لدى قطاع واسع من النخب الأكاديمية والثقافية والسياسية في اليمن، وأضحت روابطه بالمجتمع ضعيفة وغير مرئية، إلى حد أن كثيرين يبدون دهشتهم عندما تطرح علاقة الوقف بالمجتمع المدني كموضوع يستحق الاهتمام العلمي والعملية معاً.

ومع كل ذلك فإن نظام الوقف لا يزال يحمل بداخله عوامل بقاءه وإمكانيات تطوره في حاضر ومستقبل المجتمع وذلك مصداقاً لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (الخير فيّ وفي أمّتي إلى يوم القيامة) وهناك مؤشرات كثيرة على عودة أصل الوقف ومعناه الحسبي إلى التوهج من جديد، حيث تشهد الأوقاف حالياً مرحلة رد اعتبار في كثير من البلدان العربية والإسلامية ومنها اليمن، وذلك على الصعيدين المفاهيمي والقانوني والإداري، وما تلك المؤتمرات والندوات المكثفة حول الوقف المحلية والعربية والإسلامية والمشاركة اليمنية الفاعلة فيها والقيام بتنفيذ المشروع الوطني الاستراتيجي لحصر وتوثيق أراضي وممتلكات الأوقاف في اليمن إلا أكبر دليل على ذلك.

الموقوف عليه ومجالاته

ويمكن استعراض تلك المجالات وما يندرج تحت كل نوع منها من محاسن ومبررات بحسب الأعيان الموقوفة فيما يلي:

أولاً: في مجال المساجد والقائمين عليها:

اعتبر الوقف أهم مصدر من مصادر بناء المساجد في البلاد الإسلامية، مما يعني أن الأصل في نظام الأوقاف هو ارتباطه بدور العبادة للصرف عليها والقيام بإدارتها ورعاية القائمين على أمر الشعائر فيها.

حيث دعا القرآن الكريم إلى عمارة المساجد والاهتمام بها، فيقول الله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) [التوبة: ١٨].

بيد أنه لا يقتصر الوقف على إنشاء المساجد كدور للعبادة فقط، بل يتعدى ذلك إلى الوقف على جميع وظائف المسجد بصورة عامة، أو على وظيفة أو وظائف خاصة والتي لا بد من توفرها لإدارتها والقيام بشؤونها ورعاية جوانب العبادة فيها. فبالإضافة إلى وقف إنشاء المسجد ومرافقه هنالك الكثير من الأوقاف المتعلقة بالمساجد والجوامع يمكن توضيحها فيما يلي:

١- وقف عام للمساجد والجوامع: وهو ما يوقف على مسجد معين أو على عدد من المساجد كوقف عام لكل مصالح المسجد.

٢- وقف إنارة المسجد: وهو ما تم وقفه لإنارة المسجد، وتوفير المسارج

الوقف ابتكار
مؤسسي يجسد
شعور الضرد
بالمسئولية
الجماعية

اعتبر الوقف
أهم مصدر لبناء
المساجد في
البلاد الإسلامية

والزيتون وغير ذلك مما يتعلق بالإضاءة من مواد وصيانة.

٣- وقف توفير المياه للمسجد: وهو ما يتم وقفه لتوفير المياه للمسجد مثل تكاليف حفر الآبار وإنشاء مجاري المياه وتوصيلها إلى المسجد وتكاليف صيانتها وأجور القائمين عليها.

٤- وقف أحجار التجفف: وهو الوقف المخصص ريعه لتوريد أحجار التجفف الطاهرة إلى جوار حمامات المساجد (الماشية) للتجفف بها بعد قضاء الحاجة، وكذا نقل الأحجار المستعملة، وكانت هذه الأحجار تقوم آنذاك مقام المناديل والمحارم والمناشف.

٥- وقف السناء: وهو الوقف المخصص ريعه كمقررات لصالح من يتولى سني المياه ونزعها من الآبار وغيرها للمسجد.

٦- وقف فرش المسجد: وهو الوقف الخاص بتوفير الفرش للمساجد وصيانتها والمحافظة عليه.

٧- وقف للقائمين على المسجد: وهو ما تم وقفه لصالح القائمين على المساجد ومنهم:

أ- إمام المسجد: ويشترط في الإمام أن يكون عالماً بكيفية الصلاة وشروطها، ومشهوراً بالخير والدين، ملماً بأحكام العبادة الشرعية.

ويكون اختصاص الإمام في أن يؤم المصلين في الصلوات الخمس المفروضة لأول أوقاتها الشرعية، وفي قيام رمضان وصلاة الخسوف والكسوف عند وجود سببها الشرعي، وغير ذلك من العبادات الجماعية في الإسلام.

ب- الخطيب: وقد حرص الواقفون على تحديد صفات الخطيب ومهامه، بأن يكون عارفاً بطريقة الخطب محسناً لتأديتها.

ج- الوظائف المساعدة: كالمؤذنين والعمال والخدم، ويتم تحديد مهامهم وفق القواعد الشرعية التي يجب على كل واحد منهم تطبيقها والالتزام بها، تسهيل مهمة العبادة على المسلمين، وللقيام بها على الوجه الشرعي المطلوب.

٨- وقف الراتب وإقامة الصلاة: وهو ما تم وقفه لمن يتولى قراءة الراتب عقب الصلاة أو لمن يتولى إقامة الصلاة في المسجد.

٩- وقف كحل العيون: وهو ما تم وقفه لصالح توفير المكاحل وصيانتها وتوفير كحل العيون لمرتادي المساجد.

١٠- وقف الحرم المكي: ومن الأوقاف المخصصة للمساجد، الأوقاف المعروفة بوقف الحرم المكي، وهو ما تم وقفه لصالح الحرم المكي الشريف، وكانت عائداته -وعائدات أوقاف حمام مكة ترحل سنوياً إلى مكة المكرمة، حتى استغنت المملكة العربية السعودية عن ذلك وطلبت من الحكومة اليمنية قبل عدة سنوات إنفاق تلك العائدات في مبرات أخرى داخل اليمن.

ثانياً: في مجال التعليم:

وهناك الكثير من الأوقاف المخصصة للتعليم والعلماء المتعلمين ومنها الأنواع التالية:

١- وقف المدارس: وهو ما تم وقفه لبناء المدارس والمعاهد وإقامتها وصيانتها

من الأوقاف
المخصصة
للمساجد وقف
الإضاءة والمياه
وأحجار التجفف
والسني والفرش

ومنها وقف
الحرم المكي الذي
كانت عائداته
تسلم للمملكة
السعودية إلى
وقت قريب

وترميمها وخدمتها.

- ٢- وقف العلماء والمتعلمين: وهو ما تم وقفه لصالح العلماء والمتعلمين لتدريس علوم القرآن والفقه والعلوم الإسلامية والعلوم المختلفة.
- ٣- وقف الأربطة: وهو ما تم وقفه لإنشاء الأربطة التي ينزل بها العلماء والمشتغلين بالتدريس ويقيم فيها طلاب العلم.
- ٤- وقف المصاحف والكتب: وهو ما تم وقفه من مصاحف القرآن الكريم وكتب الفقه والعلوم المختلفة والمخطوطات، أو ما تم وقفه لترميم وصيانة المصاحف والكتب والمحافظة عليها.
- ٥- وقف المكتبات: فقد شاد الخلفاء والأمراء والعلماء والأغنياء الخيرون، المكتبات وكانت تشتمل على عشرات الآلاف من الكتب في أصناف العلوم الإنسانية والتجريبية، وكان لهذه المكتبات موظفون ومترجمون ونساخ وخدم يصرّف عليهم من ريع الأوقاف التي تنشأ من أجل ذلك.
- ٦- وقف الدرس وقراءة القرآن: وهو الوقف المخصص ريعه لمن يقوم بالدرس وقراءة القرآن سواء التلاوة المطلقة أو المعينة.
- ٧- وقف الترب: وهي الأوقاف التي كانت لمساجد، وبعد أن اندثرت وأتربت حولت أوقافها لصالح العلماء والمتعلمين.
- ٨- وقف المنازل: وهو الوقف المخصص ريعه لإقامة وترميم وصيانة المنازل (جمع منزله) وهي الأماكن الملحقة بالمساجد والتي يسكنها طلبة العلم.

ثالثاً: في المجال الصحي:

بلغت العناية بالأمر الصحي في المجتمع الإسلامي درجة عالية، حيث أوقفت كثير من الأسواق والمحلات التجارية والعمارات والأراضي الواسعة لإنفاق ريعها على إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية وتشغيلها وتقديم الخدمات الصحية المختلفة لعموم المجتمع، إضافة إلى ذلك هناك الأوقاف المخصصة لمجال صحي معين والمنتشرة في مختلف أنحاء اليمن أهمها الأوقاف المحددة المصرف لما يلي:

- ١- وقف الجذمان: وهو ما تم وقفه وحدد مصرفه لإنشاء المستشفيات التي كان يجمع فيها المجذومون، ويعزلون عن المجتمع حتى لا يسري داؤهم إلى غيرهم، ويتم معالجتهم لوحدهم للقضاء على الأمراض المعدية إضافة إلى الانفاق على إعاشتهم.
- ٢- وقف ذوي العاهات: وهو ما تم وقفه وحدد مصرفه لصالح ذوي العاهات والمعاقين والمجانين والمكفوفين والعاجزين عن العمل وغيرهم.
- ٣- وقف زيارة المرضى: وهو ما تم وقفه وحدد مصرفه لمن يتولى زيارة المرضى وطمأننتهم وتطبيب نفوسهم.
- ٤- وقف المنقه: وهو ما تم وقفه وحدد مصرفه لصالح المنقه (الذي خرج من المرض لفترة النقاهة) وكثيراً ما كان يدفع للفقراء أموالاً تساعدهم على كسب قوتهم أثناء فترة النقاهة حتى الشفاء.
- ٥- وقف ضربة الشمس: وهو الوقف الذي ينفق عائده على معالجة من

هناك العديد من الأوقاف المخصصة للتعليم والعلماء والمتعلمين

بلغت العناية الصحية درجة عالية، ولها أوقاف كثيرة منها وقف (المنقه)

يصاب بضربة الشمس.

٦- وقف العلاج النفسي: وهو وقف فيه وظيفة من جملة وظائف المعالجة في المستشفيات وهي تكليف اثنين من الممرضين أن يقفا قريباً من المريض، بحيث يسمعهما ولا يراهما، فيقول أحدهما لصاحبه: ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟ فيرد عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه لا بأس فهو مرجو البرء، ولا يوجد في علقته ما يشغل البال وربما نهض من فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة أيام.

٧- وقف مؤنس المرضى والغرباء: وهو وقف ينفق منه على عدة مؤذنين، من كل رخم الصوت حسن الأداء، فيرتلون القصائد الدينية طول الليل، بحيث يرتل كل منهم ساعة، حتى مطلع الفجر، سعياً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يخفف عنه، وإيناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه.

ومن الأوقاف
الصحية وقف
العلاج النفسي
ومؤنس المرضى

رابعاً: في مجال العبادات المختلفة:

أهم الوقفيات التي تدرج في هذا المجال مايلي:

١- وقف تسهيل تأدية فريضة الحج: وبالرغم من أن الحج لم يفرض إلا على القادرين من خلال قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) [آل عمران: ٩٧]، إلا أن قوة الشعور الديني جعلت الكثيرين يتوقون لتأدية الفريضة، ومن هنا توجه عدد من الميسورين الواقفين لإعانة الفقراء المسلمين على تأدية الحج. وقد عمل بعض الواقفين على تسيير قوافل الحجاج الذين يرغبون في الحج ولا يجدون سعة من العيش، وتشمل تلك القوافل كافة المتطلبات التي تحتاجها الرحلة إلى بيت الله الحرام، كالجمال والمياه والزاد، ذهاباً وإياباً.

كما أن هنالك بيوت الحجاج الموقفة ليقيموا فيها مجاناً حين قدومهم للحج.

٢- وقف الجهاد في سبيل الله: ومن الآثار الصحيحة التي تؤكد ربط الأوقاف بفريضة الجهاد، أن طلحة حبس سلاحه وكراعه في سبيل الله. وهناك الكثير من الأعيان الموقوفة والتي يتم صرف ريعها في إعداد المقاتلين بجميع اختصاصاتهم وأعمالهم، كالرماة والمدافعين والقائمين على إصلاح الأسلحة وخبزها، وغير ذلك من الموظفين والعاملين في مجالات الجيش المختلفة، إضافة إلى فك أسرى المسلمين من أيدي الأعداء.

٣- وقف البارود: وهو الوقف الذي يخصص ريعه لشراء البارود لاستخدامه في حماية المدن والقرى من أي اعتداء.

٤- وقف المواسم والمناسبات الدينية: وتعتبر المواسم الدينية التي تتوزع على شهور السنة وأيامها مجالات تعبدية رحبة دعا الإسلام أتباعه إلى استغلالها والإكثار من عمل المعروف والخير فيها لمضاعفة الأجر وزيادة الحسنات:

أ- وقف يوم عاشوراء: وهو العاشر من محرم، حيث أصبح من التقاليد الإسلامية المعمول بها مساعدة المحتاجين والفقراء في هذا اليوم بأشكال وطرق متنوعة.

ب- وقف شهر رمضان: فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان رسول الله صلى

أوقفت بيوت
للحجاج بغرض
الإقامة فيها
أثناء أدائهم
لفريضة الحج

الله عليه وآله وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان). وقد كان هذا بمثابة دعوة للمسلمين إلى الإكثار من الصدقات وأعمال البر، مما جعل من مظاهر هذا الشهر التوسعة على المسلمين بصرف رواتب إضافية وإكراميات للعاملين والموظفين وطلاب العلم والأيتام والفقراء وكل حسب منزلته ومكانته، وذلك من الصدقات ومن ريع الأعيان الموقوفة لهذا الشهر الكريم، وكذا إقامة وجبات العشاء والسحور المشتملة على الخبز واللحوم والأرز والعسل والحبوب والفواكه وأجرة من يتولى طبخ ذلك وتفريقه.. على أن يطبخ في كل يوم من أيام رمضان ويوزع على المقيمين من الفقراء والمساكين والأيتام وطلاب العلم والجيران.

إقامة وجبات العشاء والسحور للمحتاجين في رمضان من ريع الوقف المخصص لذلك

وبالإضافة إلى الأوقاف المخصصة لشهر رمضان بصورة عامة، هناك أوقاف مخصصة ينفق ريعها في مجال معين خلال شهر رمضان منها:

١- وقف الفطارة (إفطار الصائم): وهو الوقف الذي ينفق ريعه لتوفير طعام الإفطار للصائمين وتقديمه في المساجد أو في الدواوين وأماكن التجمعات.

٢- وقف مدفع رمضان: ويخصص ريعه لتجهيز مدفع رمضان للإعلام بمواعيد الإمساك والإفطار.

٣- وقف الكسوة: حيث يتم الصرف من أموال الوقف في شهر رمضان مبالغ لكسوة العيد للفقراء والمحتاجين والأيتام ويتم توزيعها على الذكور والإناث على حد سواء.

ج- وقف عيد الفطر وعيد الأضحى: ومن أجل مشاركة عدد كبير من الفقراء أفراح الناس وبهجتهم، حرص الواقفون على التوسعة وتقديم المساعدة للمستحقين في الأعياد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى، ومن هذه الأوقاف:

١- وقف لحم العيد: وهو الوقف الذي يخصص ريعه لشراء الأبقار والأغنام لذبحها يوم العيد وتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين.

٢- وقف عشاء ليلتي العيدين: وهو الوقف المخصص ريعه لإعداد وجبات العشاء للمعدمين ليلتي عيد الفطر والأضحى من باب إدخال السرور عليهم.

٣- وقف عطر العيد: ويخصص ريعه لشراء كميات من العطور التي توزع على الفقراء والمساكين، أو يعطر بها من حضر صلاة العيدين.

٤- وقف مراقبة الأهلة (الأرصاد): وينفق ريعه على القائمين على مراقبة الهلال في شهر رمضان وغيره.

٥- وقف الحضرات والمولد: وينفق ريعه لإحياء الحضرات والمولد النبوي الشريف التي تقام بصورة دورية أو سنوية.

٦- وقف البهجة: وينفق ريعه لإحياء الليالي مثل ليلة النصف من شعبان حيث يجتمع الناس ويحتفلون فيها بمناسبة دينية.

وقف العيدين ووقف لحم العيد خصص لمساعدة الفقراء والمساكين

خامساً: في مجال المقابر والقبور:

هناك العديد من الأوقاف التي حددت مصارفها في المبرات المتعلقة بالمقابر والقبور وتجهيز الموتى، منها:

هناك أوقاف مخصصة لتكفين وتجهيز ودفن الموتى وصيانة قبورهم

- ١- وقف المقابر: وهو ما تم وقفه من مساحات أراضي تخصص كمقابر لدفن الموتى، أو ما يوقف لمصالحها.
- ٢- وقف القبور: وهو ما يوقف ويخصص ريعه لصيانة القبور وتسريح وتبخير قبور بعض الصالحين.
- ٣- وقف الأولياء: وهو الأموال الموقوفة بأنواعها والتي يوقفها ويحبسها الواقفون لصرف ريعها على الأولياء والصالحين من عباد الله وترميم أضرحتهم وصيانتها وإحيائها بتلاوة القرآن والراتب وإحياء المناسبات الدينية ومواسم الزيارات.
- ٤- وقف تكفين وتجهيز الموتى: وهو ما تم وقفه لصرف عائداته لشراء الأكفان وتكاليف تجهيز وتكفين الموتى من المعدمين والغرباء.
- ٥- وقف الجنائز: وهو ما تم وقفه لصرف عائداته على شراء جنائز نقل الموتى والمغتسلات الخاصة بتغسيل الموتى وصيانتها.

سادساً: في مجال محاسن المياه:

- عمل المحسنون على حفر الآبار، وإنشاء الأسبلة والمواجل والسقايات والأحواض والسدود وأوقفوا أنفس الأعيان لمصالحها والقائمين عليها. ومن أشهر الأوقاف التي تدخل في مجال المياه، الأوقاف التالية:
- ١- وقف الأسبلة: وينصب في تيسير الحصول على مياه الشرب للمارة وصيانتها وتزويدها بالمياه بصورة مستمرة من مختلف المصادر.
 - ٢- وقف الآبار: وأول ما يطالعنا في مجال توفير مياه الشرب من الآبار، وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومه وجعل دلائها للمسلمين كافة، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من يشترى بئر رومه وأضمن له الجنة)، فاشتراها عثمان بن عفان وجعلها وقفاً دائماً على المسلمين.
 - ٣- وقف الغيول: ويخصص في صيانة منابع الغيول، وتنظيف وإصلاح مجاريها وسواقيها.
 - ٤- وقف المواجل (البرك): ويخصص ريعه لبناء المواجل والبرك لجمع مياه الأمطار لاستخدامها من قبل الأهالي، وصيانتها وإقامتها.
 - ٥- وقف الأحواض: ويخصص ريعه لإقامة أحواض للمياه المخصصة لشرب المواشي في الطرقات والميادين العامة، وترميم وصيانة القائم منها وتزويدها بالمياه.
 - ٦- وقف السقايات (الفلترة والتنقية): والمخصص ريعه لإقامة السقايات المخصصة لجمع المياه الصالحة للشرب وصيانتها وترميمها.
 - ٧- وقف الجرة (الخرانات): والمخصص ريعه لشراء الجرار ووضعها في الطرقات العامة في المدن وملئها بالمياه لشرب المارة وأجور القائمين عليها وصيانتها.
 - ٨- وقف السدود والحواجز والصحاريح: ويخصص ريعه لإقامة سدود وحواجز لمياه السيول والأمطار، وترميمها وصيانتها وتنظيفها.
 - ٩- وقف السلبة (الجل): وهو الوقف المخصص ريعه لترميم وصيانة السلب

خصص وقف لسقايات المياه الصالحة للشرب وصيانتها وترميمها

(الجمال) التي تستخدم في رفع المياه من الآبار واستبدال التالف منها.

سابعاً: وقف المواصلات والطرق البرية والبريد:

ومن خلال متابعة بسيطة لهذا الجانب الخدمي يتبين أن هنالك عدة أشكال من الوقف تم تخصيصها لطرق المواصلات البرية والبحرية والخدمة البريدية يتمثل أهمها في الأوقاف التالية:

١- وقف الطرق والممرات والجسور: وهي الأوقاف التي يخصص ريعها لإنشاء الطرق والممرات والجسور لتأمين المواصلات البرية بين المدن وصيانتها وترميمها.

٢- وقف النقل: والمخصص ريعه لصيانة وإصلاح النقل (عقبة) في طرق المسافرين.

٣- وقف حراسة وتأمين طرق المواصلات: وهي الأعيان الموقوفة والتي يخصص ريعها للإنفاق على القائمين على حراسة الطرق وتأمين المواصلات البرية وبما يجعلها سالكة وبعيدة عن مخاطر قطاع الطرق والخارجين عن الأنظمة.

٤- وقف الاستراحات (الخانات): وهي الأوقاف التي يخصص ريعها لتوفير أماكن خاصة يتوقف فيها المسافرون وتحط بها القوافل للاستراحة، ويطلق عليها (الاستراحات) أو (الخانات) وقد أنشئت على امتداد طرق المواصلات، كما أن هنالك أوقاف يخصص ريعها لصيانة وترميم تلك الاستراحات وحمايتها بصورة دائمة.

٥- وقف إطعام المسافرين: وهي الأوقاف التي يخصص ريعها لتهيئة وتوفير ما يحتاجه المسافر من طعام وشراب له ولراحته مجاناً وفق مبدأ الضيافة التي دعا إليها الإسلام.

٦- وقف الدواوين: والمتمثلة في إنشاء الدواوين في المدن والتجمعات السكانية لاستقبال الوافدين وعابري السبيل وتجمع الأهالي في المناسبات، إضافة إلى تخصيص العديد من الأعيان الموقوفة لإنفاق عائداتها على إقامة تلك الدواوين وصيانتها وترميمها وتوفير الطعام لمرتاديها.

٧- وقف الخدمة البريدية: وهي الأوقاف التي يخصص ريعها لخدمة إيصال المعلومات بين نواحي البلاد المختلفة، وتوفير الخيل والبغال والحمير في عدة أماكن على الطريق لاستخدامها في نقل الأخبار إلى سائر البلدان، وتوفير ما يلزمها والقائمين عليها من غذاء وغيره.

٨- وقف منارات السفن، وهي الأعيان الموقوفة والمخصص ريعها لتأسيس وتسيير منارات السفن وإرشادها.

٩- وقف الجرة والسبيل في الطرق: وهي الأعيان الموقوفة والمخصص ريعها لإقامة جرار المياه والسبيل لتوفير المياه على امتداد الطرق.

١٠- وقف الدكات: والمخصص ريعها لإنشاء دكات المواني لرسو السفن وصيانتها.

اهتم الوقف
بطرق المواصلات
البرية والبحرية
وخدمة البريد

أوقفت الدواوين
لاستقبال
الوافدين
وعابري السبيل،
واجتماع الأهالي
في المناسبات

ثامناً: في المجال الاجتماعي المخصص:

يعد الوقف في الاسلام وجهاً من وجوه الصدقات التي ندب الاسلام اتباعه إليها، وحثهم على عدم إغفالها، ولقد كان هذا واضحاً في كثير من الإرشادات القرآنية التي تعتبره حقاً من حقوق المجتمع في عنق الأفراد، حيث قال الله تعالى: (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) [المعراج: ٢٥]. وجاءت التنبیہات النبویة لتلزم جميع المسورين وأصحاب رؤوس الأموال الفائضة عن حاجتهم إلى القيام بمبدأ التكافل الاجتماعي، لذلك يلاحظ تعدد أشكال الوقف في المجال الاجتماعي المخصص، ويتمثل أهمها في الأشكال التالية:

- ١- وقف الفقراء والمساكين: وهي الأعيان الموقوفة وحدد مصرف عائدتها على الفقراء والمساكين والمعوزين.
- ٢- وقف إعاشة المحتاجين: وتشتمل على الأماكن والمساكن الموقوفة والمخصصة للمحتاجين والمساكين، وكذا الأعيان الموقوفة الأخرى والمخصص ريعها لإعاشة المحتاجين مدة حاجاتهم.
- ٣- وقف رعاية الأيتام: وهي الأوقاف المخصص ريعها لصالح إعاشة ورعاية الأيتام والمنقطعين وتوفير ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء وخدمة وتعليم وغيره.
- ٤- وقف تزويج الشباب: وهي الأوقاف المخصص ريعها لمساعدة الشباب المعدمين والإسهام في نفقات تجهيزهم وتزويجهم ومن ذلك الوقف الذي كان يعرف بمدينة إب (بوقف النهمي) المخصص لتجهيز العزاب الفقراء للزواج.
- ٥- وقف اللقطاء: وهي الأوقاف التي تنفق عائداتها لصالح تربية اللقطاء وإعاشتهم ورعايتهم وتوفير ما يحتاجون إليه من مأكّل وملبس وتعليم وخدمة حتى يبلغون رشدهم.
- ٦- وقف الطعمه: وهي الأعيان الموقوفة والتي يخصص ريعها لتوفير الطعام في الدواوين والمنازل لإطعام الغرباء والمسافرين وعابري السبيل والفقراء والمساكين.
- ٧- وقف الكفارة: وهي الأعيان الموقوفة والتي تنفق عائداتها لإطعام الفقراء والمساكين مقابل كفارات اليمين وكفارات الصلاة والصيام.
- ٨- وقف الدويدار: وهي الأعيان الموقوفة والمخصص ريعها لشراء الأواني الخنزف أو الفخار، فكل خادم كسرت أنيته، وتعرض لغضب مخدومه، له أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناء صحيحاً بدلاً منه، وبهذا ينجو من غضب مخدومه عليه، ويعتبر هذا النوع من الوقف من أطرف ما وقفه المسلمون على سبيل الخير والقربة إلى الله تعالى.
- ٩- وقف الأعراس: ويشتمل على الحلبي والزينة والملابس الموقوفة لإعارتها في الأعراس والأفراح، يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، ثم يعيدون ما استعاروه إلى مكانه، وبهذا يتيسر للفقير أن يبرز يوم عرسه بحلة لائقة ولعروسه أن تجلى في حلة راقية حتى يكتمل الشعور بالفرح.
- ١٠- وقف الغاضبات: وهي الأوقاف التي يؤسس من ريعها بيوت، ويعد

تعددت أشكال
الوقف المخصص
في المجال
الاجتماعي

خصص وقف
الكفارة لإطعام
الفقراء
والمساكين مقابل
كفارات اليمين
والصيام..

فيها الطعام والشراب، وما يحتاج إليه الساكنون، تذهب إليها الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور، وتظل أكلة شاربية إلى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من الجفاء وتصفو النفوس، فتعود إلى بيت الزوجية من جديد.

١١- وقف السكون: وهي الأراضي الموقوفة المخصصة لإقامة المساكن لمن أراد من الفقراء والمعدمين، وكذا البيوت الموقوفة المخصصة للفقراء الذين لا يجدون مالا يشترون به داراً أو يستأجرونها للسكن.

١٢- وقف دور الرعاية الاجتماعية: وهي الدور الموقوفة للرعاية الاجتماعية المجانية للأيتام واللقطاء، وللعجزة والعميان والمقعدين، وكذا الأعيان الموقوفة والتي تخصص عائداتها لتوفير ما يحتاجون إليه من غذاء ولباس وخدمة وتعليم أيضاً، كما أن هنالك أعيان موقوفة تخصص عائداتها لإمداد المقعدين والعميان بمن يقودهم ويخدمهم.

١٣- وقف الأمهات: أو وقف الحليب، وهي الأعيان الموقوفة والمخصص ريعها لإمداد الأمهات المرضعات بما يحتاج إليه أطفالهن من حليب وسكر لتحلية الحليب.

١٤- وقف أسر السجناء: وهي الأوقاف التي تخصص عائداتها للإنفاق على أسر السجناء وأولادهم، حيث يقدم لهم الغذاء والكساء وأمور المعيشة.

١٥- وقف الإقراض: وهي النقود الموقوفة بغرض الإقراض للمحتاجين، حيث يأخذ المحتاج القرض يسد به حاجته، ويعيده بعد ذلك لناظر الوقف.

١٦- وقف المتعلمين الحفاة: وهي الأوقاف المخصص ريعها لشراء الأحذية لطلاب العلم الفقراء الحفاة.

١٧- وقف فرحة الولاد: وهي الأوقاف المخصص ريعها لزيارة نساء الفقراء بعد الوضع وتقديم ما يحتاجن إليه من مأكّل وملبس.

١٨- وقف الرياضة والشباب: وهي الأعيان الموقوفة لممارسة الرياضة وبناء الأجسام، وكذلك الأعيان الموقوفة المخصص ريعها للإنفاق على تلك الأندية الرياضية ومرتاديها.

تاسعاً: في مجال الحيوان ورعاية الطيور:

وكان للحيون أيضاً نصيب من اهتمامات المسلمين الوقفية، ومن ذلك الأوقاف التالية:

١- وقف حمام مكة: وهي الأعيان الموقوفة والمخصص ريعها لتوفير حبوب طعام للطيور والحمام التي تتواجد في ساحات الحرم المكي الشريف.

٢- وقف الدواب والمواشي: وهي الأوقاف المخصصة لتوفير المراعي والعلف والمياه للمواشي والدواب السائبة أو خيول الجهاد.

٣- وقف رعاية الحيوانات المريضة والسائبة: وهي الأوقاف المخصصة لإيواء الحيوانات المريضة والسائبة وتوفير الأعلاف والمياه والرعاية البيطرية.

٤- وقف الكلاب الضالة: وهي الأوقاف التي ينفق من ريعها على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب استنقاذاً لها من عذاب الجوع، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء.

تذهب الزوجة
الغاضبة إلى
أحد بيوت
الوقف المخصصة
لمثل هذه الحالات

كان للحيوانات
نصيب من الوقف
لرعاية الصحية
وتوفير المرعى
والمأوى

٥- وقف ملطع الكلب: وهي الأوقاف التي ينفق ريعها على إقامة أماكن لشرب الكلاب (الملطع) بجوار أحواض شرب المواشي وكذا تزويدها بالمياه بصورة دائمة.

٦- وقف الغنم الجرباء: وهي الأوقاف المخصص ريعها لشراء الأعلاف لإطعام الأغنام المصابة بالجرب وغير القادرة على الخروج للمرعى.

٧- وقف تربية القطط: وهي الأوقاف المخصص ريعها لتربية القطط والاعتناء بها لكي تقوم بأكل الفئران والقوارض في المكتبات للحفاظ على الكتب.

وبذلك تتأكد أصالة النزعة الإنسانية الحضارية في تشريع الوقف عند المسلمين، تحقيقاً لقول الله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) [الزلزلة: ٧].

عاشراً: في مجال الخدمات العامة الأخرى:

ويشتمل هذا المجال على عدد من أشكال الأوقاف منها:

- ١- وقف النظافة: وهي الأوقاف التي يخصص ريعها للإنفاق على نظافة المساجد والأسبلة والأحواض والبرك والطرق وغيرها من المحاسن.
- ٢- وقف المسرحة: وهي الأموال التي توقف من الواقفين لصرف ريعها على شراء المسارج وتوفير الزيوت لها وصيانتها وللقائمين عليها، والتي تستخدم في المساجد والمحلات العامة والدواوين والطرق.

أحد عشر: الوقف الأهلي / الذري:

ويعتبر الوقف على الذرية والأقارب من أفضل القربات لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الشريف: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان: صدقة وصلّة). كما يهدف الواقف من وراء ذلك إلى تأمين مستقبل أقربائه وذريته وآخرين من الأجيال القادمة، وذلك بإيجاد مورد لهم، يدفع عنهم الحاجة والفقر، وربما لا يتهيأ للخلف توفير أموال تعينهم على عوادي الزمان، وقد يأخذ الوقف الأهلي أو الذري عدة أشكال منها:

- ١- الوقف على كامل الذرية: وهي الأوقاف التي ينفق ريعها على ذرية الواقف من الأجيال القادمة من الذكور والإناث بدون أي شروط.
- ٢- الوقف على الفقراء من الذرية: دون سواهم.
- ٣- الوقف على الفقراء من أسرة الواقف وأقاربه.
- ٤- الوقف على طلبة العلم من ذرية الواقف: وتصرف عائدات الأعيان الموقوفة تلك على طلبة العلم من ذرية الواقف.
- ٥- الوقف على أشخاص محددين: وهي الأعيان التي يوقفها الواقف على أشخاص محددين يسميهم بالاسم.
- ٦- وقف قراءة القرآن: وهي الأعيان التي يوقفها الواقف ويصرف ريعها لمن يقرأ القرآن أو ما تيسر منه على روح الواقف سواء كان من الذرية أو من الأقارب أو من غيرهم.

اهتم المسلمون
بالوقف المخصص
للإنفاق على
نظافة المساجد
والأحواض
والطرق

الوقف على
الذرية والأقارب
من أفضل
القربات إلى الله

أذونات الخزائنة

المؤثرات والانعكاسات

محمد محمد السمة

واجهت اليمن في بداية التسعينيات من القرن الماضي عقب تحقيق الوحدة المباركة ٢٢ مايو ١٩٩٠م جملة من التحديات الاقتصادية والسياسية العاصفة ومن أبرز تلك التحديات عودة أكثر من مليون مغترب من دول الخليج، وبالتالي فقد الاقتصاد أهم موارد النقد الأجنبي متمثلاً في التحويلات المنتظمة من المغتربين، فتزامنت مع تلك الصدمة الاقتصادية الخارجية التي تعرض لها الاقتصاد الوطني وحدثت أزمة أخرى متمثلة في تفاقم الأزمة السياسية عام ١٩٩٤م بين طرفي الائتلاف (المؤتمر والاشتراكي) ودخول البلد في أزمة سياسية حادة، ونتيجة لتلك التحديات والأزمات زادت الاختناقات الاقتصادية والإدارية والمالية حيث وصل عجز الموازنة في عام ١٩٩٤م إلى ٤٤,٧٩٢ مليار ريال بنسبة ٢٠,٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي، فأصبح بالتالي مصدراً رئيسياً للاختلالات المالية والنقدية، كالتدهور المتسارع في سعر الصرف، والتقلبات العنيفة في الأسعار، كما وصل التضخم إلى حوالي ١٠٤٪ والتدهور في القوة الشرائية للعملة المحلية ونتيجة لذلك أعطى برنامج الإصلاح الاقتصادي أولوية خاصة لمعالجة الاختلال المالي وتخفيض عجز الموازنة إلى مستويات آمنة.

وقد تم استخدام سياسة نقدية استهدفت إدخال أداة نقدية جديدة متمثلة في سياسة أذون الخزائنة لحساب الدولة، وقيام البنك المركزي ببيع هذه الأداة بشكل فعلي في بداية عام ١٩٩٦م..
وتتبع أهمية دراسة هذا الموضوع من كونه يعطي صورة شاملة لأهم فترة عن أذون الخزائنة لما يمثل ذلك من أهمية لصانع القرار.

الوضع الاقتصادي قبل إصدار أذون الخزانة :

هناك عوامل وتطورات أمت بالاقتصاد اليمني خلال عام ١٩٩٠-١٩٩٤م بتغيراته الداخلية والخارجية، وتمخض عنها تدهور عام في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أهمها:

هناك عوامل أمت
بالاقتصاد
اليمني تمخض
عنها تدهور عام

١- عوامل ناشئة عن إعادة توحيد البلاد عام ١٩٩٠م:

حيث تمت الوحدة بين شطرين كان كلاهما يعاني من الاختلالات الهيكلية الاقتصادية والاجتماعية المزمنة فانسحبت بتراكمتها وأثارها على اقتصاد الدولة الوليدة فقد اتسم اقتصاد كلا الشطرين بضعف قاعدة الموارد، وضعف معدلات الانتاج والتصدير، والاعتماد الكبير على الموارد الخارجية المتمثلة في تحويلات المغتربين والمنح والقروض الخارجية، كما أن اختلاف النظام الاقتصادي في كل من الشطرين قد جعل من الطبيعي أن تكون التكاليف المالية للتوحيد مرتفعة فواجهت دولة الوحدة وضعاً اقتصادياً صعباً.

٢- حرب الخليج الثانية ١٩٩١-١٩٩٥م:

أ- ترتب على التطورات التي شهدتها البلد أزمة وحرب الخليج بعد مضي شهرين من التوحيد من أهمها عودة ما يقارب من مليون مغترب من الدول المجاورة وشكل هؤلاء ضغوطاً استثنائية للدولة الوليدة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، خاصة وأن الاقتصاد لم يكن قادراً على استيعاب قوة عمل إضافية يمثل هذا الحجم، ومن الملاحظ أن معظم قوة العمل العائدة تشكل أساساً من عمالة غير ماهرة لم يكن ليستفاد منها في مجالات النشاط الصناعي المختلفة، فأدى إلى ارتفاع البطالة من ٧٪ قبل اندلاع الحرب إلى ٣٥٪ بعدها، ولم تستطع الدولة توفير فرص عمل إلا بنسبة ١٢٪ فقط من جملة العمالة العائدة، في حين ظلت نسبة ٨٨٪ بلا عمل.

ب- حرم الاقتصاد من المساعدات المالية والعينية التي كانت تقدم لليمن من الدول الأخرى فزادت الأعباء المالية على الخزانة العامة لتشغيل بعض المرافق.

ج- توقف تدفقات تحويلات العاملين أثناء الحرب ثم إنخفاضها فيما بعد مما قلص تدفق النقد الأجنبي إلى الاقتصاد ليلحق به أضراراً اقتصادية تقدر بنحو مليار دولار في السنة.

د- تأثر حركة السياحة الخارجية مما أفقد اليمن مصدراً متنامياً للدخل وتعطلت العلاقات التجارية، فألحقت أضراراً بقطاعات التصدير وخاصة القطاع الزراعي، وبعض الصناعات التحويلية، وتقدر مصادر رسمية والبنك الدولي جملة الخسائر التي لحقت باليمن بسبب أزمة الخليج بأكثر من ٢ مليار دولار يدل على حجم العجز المالي الذي كان كبيراً بالنسبة إلى كل من النفقات العامة والنتائج المحلي الإجمالي.

٣- الأزمة السياسية وحرب صيف عام ١٩٩٤م:

بينما كان الاقتصاد يعاني مرارة الظروف القاسية الموروثة والطارئة تفاقمت الأزمة السياسية الداخلية والتوترات وعدم الاستقرار، مما أسفر عن هذه الحرب خسائر بشرية ومادية ووفقاً لتقديرات الرسمية الحكومية تراوحت خسائر الحرب بين عشرة وإحدى عشر مليار دولار، وقد كان لهذه الحرب انعكاس

ارتفع معدل
البطالة بعد
حرب الخليج من
٧٪ إلى ٣٥٪

سلبى وخطير على الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلاد. وهناك عوامل أخرى داخلية ساعدت على تدهور الأوضاع الاقتصادية متمثلة في ضعف أداء الجهاز الحكومي وتسخير الاقتصاد والإدارة لخدمة السياسة، واعتماد الحكومة في تعاملها مع الواقع على أسلوب الإجراءات الجزئية، وترددها في تطبيق سياسة متكاملة للإصلاح الاقتصادي والمالي. وكان للآثار السلبية المباشرة وغير المباشرة انعكاس خطير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولقد ترتب على ذلك زيادة حجم العجز المالي من ٩,٩٦ مليار ريال عام ١٩٩٠م إلى ٤٤,٨ مليار ريال عام ١٩٩٤م، أي أن حجم العجز المالي قد فاق حجم الإيرادات العامة، حيث وصل العجز في عام ١٩٩٤م إلى ٢٠,٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

يدل ذلك على أن حجم العجز المالي كان كبيراً نسبة إلى كل من النفقات العامة والناتج المحلي الإجمالي. ومن هنا فإن ضغوط الطلب الناشئة عن هذا العجز قد تسببت إلى جانب عوامل أخرى في ارتفاع معدل التضخم والذي وصل عام ٩٤م إلى ١٠٤٪ حيث لجأت الحكومة إلى اتباع سياسة التمويل التضخمي من خلال طبع نقود جديدة فأدى ذلك إلى التوسع النقدي، فإن نمو العرض النقدي قد تزايد من ٩,٤١٪ عام ١٩٩١م إلى ٣١,٦٣٪ عام ١٩٩٤م. وكذلك التدهور في القوة الشرائية للعملة المحلية حيث بلغت القوة الشرائية الفعلية للريال ٢٧,٥ فلساً فقط عام ١٩٩٤م ونتيجة لذلك تبنت الحكومة برنامج الإصلاح الاقتصادي عام ١٩٩٥م كضرورة حتمية فرضها الواقع لمعالجة الاختلال المالي والاقتصادي، باعتبار أن الأهداف العامة لبرنامج الإصلاح الاقتصادي تحقيق الاستقرار الاقتصادي، الوصول بالاقتصاد إلى وضع التوازن الداخلي والخارجي، الإصلاح الهيكلي. لذلك تم اتباع أسلوب مؤقت لتمويل العجز في الموازنة من مصادر حقيقية بإصدار أذون الخزانة، وذلك لتجاوز مخاطر التضخم والتحكم في الدخل النقدي وتحقيق الاستقرار النسبي في سعر الصرف.

الإطار النظري للسياسة النقدية :

تبرز أهمية السياسة النقدية من كونها تمثل أداة لإيجاد التوازن بين العرض النقدي والطلب، وتختلف أهداف السياسة النقدية من بلد إلى آخر وذلك تبعاً لنوع النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد ودرجة التطور الاقتصادي وطبيعة المشكلات النقدية والمالية في البلد المعني.

ومن ثم فإن السياسة النقدية تعد إحدى السياسات التي تستخدم في تغيير الواقع القائم إلى واقع أفضل، ولتحقيق السياسة النقدية تعمل من خلال أدواتها المعروفة بأدوات السياسة النقدية من ضمن هذه الأدوات السوق المفتوحة، حيث يقوم البنك المركزي ببيع وشراء الأوراق المالية (الأسهم والسندات). ويتسم العمل فيها بالطابع الروتيني حيث يشرف على مزاداتها البنك المركزي، كما أن أسعار الفائدة عليها يحددها البنك المركزي ويقوم المزاد فيها من جانب واحد هو البنك المركزي والمشتري لها.

**ضعف الحكومة
وتسخير
الاقتصاد لخدمة
السياسة عوامل
داخلية لتدهور
الأوضاع**

**السياسة
النقدية هي
الأداة لإيجاد
توازن بين العرض
النقدي والطلب**

نبذة مختصرة عن إصدارات أذون الخزانة :

البنك المركزي اليمني هو الجهة التي تقوم بإصدار أذون الخزانة وتسديد قيمتها الاسمية بتاريخ استحقاقها حيث يعلن البنك المركزي عن مواعيد إصدار للأذون واستقبال طلبات الشراء عبر وسائل الإعلام المختلفة كما يحدد كمية كل إصدار وشروطه ويخصص نسبة من الإصدارات للطلبات غير التنافسية. ويعتمد البنك المركزي على نوعين من الأذون:

- النوع الأول: أذون الخزانة لحاملها، وهي التي لا تسجل باسم مالكيها بل لحاملها، وتنتقل ملكيتها من شخص لآخر بمجرد التسليم والحيافة، وينص عادة على حق حاملها في استيفاء قيمتها الاسمية في مواعيد الاستحقاق.
- النوع الثاني: أذون الخزانة المسجلة، وهي التي تسجل قيمتها الاسمية باسم مالكيها، أي أنها تحمل اسم الشخص الذي يملكها، ولا يتم نقل ملكيتها إلا بالطرق والإجراءات الرسمية.

وتمثل العائد الاستثماري لأذون الخزانة في الفرق بين القيمة الاسمية للأذون المشتراة وبين القيمة المعروضة لشرائها والمسددة فعلا من قبل المستثمر. وفيما يلي مجمل إصدارات البنك من أذون الخزانة:

١- تم إصدار لأذون الخزانة في ١٥/١٢/١٩٩٥ م بمبلغ مليار وسبعمئة مليون ريال، وكان هذا الإصدار لمدة شهر واحد بفائدة سنوية ٣٢٪ وحقت إقبالا جيدا منذ الإصدار الأول.

٢- وقد تمت خلال عام ١٩٩٦ م خلال الستة الشهور الأولى إصدار أذون لأجل ثلاثة شهور فقط بمعدل إصدار واحد شهرياً. وفي النصف الثاني من عام ٩٦ م تم إصدار أجل ١٨٢ يوماً، أي ستة شهور، إلى جانب الأجل السابق الثلاثة شهور، وقد بلغت القيمة الاسمية لإصدارات أذون الخزانة لعام ١٩٩٦ م (٤٤) مليار ريال.

٣- ومن بداية عام ٩٧ م تم إصدار الأجل الثالث السنوي (٣٦٤) يوماً، إلى جانب الأجلين السابقين، وقد تمت الإصدارات خلال هذا العام بمعدل إصدارين كل شهر بقيمة إجمالية اسمية قدرها (١١٤) مليار ريال، وهكذا تم الاستمرار في الإصدار إلى يومنا هذا. (انظر الجدول رقم ١).

وتخضع هذه الإصدارات للضوابط والمعايير التالية:

أ- عدم السماح للمشاركة في شراء أذون الخزانة لأي جهة يتم تمويلها من ميزانية الدولة لأن المطلوب هو سحب الأموال التي في سوق الأموال التجارية.

ب- عدم السماح لمؤسسات القطاع العام ذات الطابع التجاري بالمشاركة في شراء أذون الخزانة من أجل الاستمرار في أداء مهمتها في الجانب الإنتاجي والإئتماني للبلاد مثل (المؤسسة الاقتصادية اليمنية، مصنع أسمنت عمران، بنك الإسكان، بنك التسليف الزراعي)، من الملاحظ أن هذه المؤسسات لم يسمح لها بالاشتراك في شراء أذون الخزانة خلال عام ٩٦-٩٧ م.

ومنذ عام ٩٨ م تم السماح لمثل هذه المؤسسات بالمشاركة في شراء أذون الخزانة، وبذلك تمكنت هذه المؤسسات من تغطية نفقاتها من عوائد أذون

العائد

الاستثماري

لأذون الخزانة

يمثل الفارق بين

القيمة المشتراة

والمعروضة

الغرض من

إصدار أذون

الخزانة سحب

الأموال من

السوق التجارية

الخزانة، وليس هذا فحسب، بل وصل الأمر إلى حد اشتراك قيادة المحور الغربي، ووزارة الأوقاف، وكذلك صناديق التقاعد، التي أخذت نصيب الأسد من هذه الإصدارات، حيث بلغت إجمالي القيمة الاسمية لصناديق التقاعد عام ٢٠٠٢م (١٣٢,٥) مليار ريال، من إجمالي ٣٠٤ مليار ريال، أي بمعدل ٤٤٪، ومع العلم أن صناديق التقاعد يتم تمويلها من المرتبات والأجور عن طريق خصميات أقساط التقاعد لجميع الموظفين عسكريين، مدنيين (أنظر الجدول رقم ٢).

هناك مؤسسات
عامة وحكومية
اشتركت بنصيب
الأسد في أذون
الخزانة

جدول (١) يبين حركة إصدارات أذون الخزانة من عام ١٩٦٦م حتى نهاية عام ٢٠٠٣م
(المبلغ بـمليارات الريالات)

السنوات	القيمة الاسمية	القيمة الفعلية	العائد الذي تتحمله الحكومة
١٩٩٦	٤٤	٤١	٣
١٩٩٧	١١٤,٢	١٠٧,٧	٦,٥
١٩٩٨	١٩٠,٦	١٨٠,١	١٠,٥
١٩٩٩	٢٥٥,٦	٢٣٥,١	٢٠,٥
٢٠٠٠	٢٨٢,٥	٢٦٧,٣	١٥,٢
٢٠٠١	٢٧٥,٨	٢٦١,٦	١٤,٢
٢٠٠٢	٣٠٤	٢٨٩,٣	١٤,٧
٢٠٠٣	٤٢٠,٩	٣٩٨,٤	٢٢,٥
الإجمالي	١٨٨٧,٦	١٧٨٠,٥	١٠٧,١

المصدر/ البنك المركزي اليمني / إدارة خدمة الدين العام

جدول (٢) يبين حركة القطاعات المشاركة في أذون الخزانة للفترة من عام ١٩٩٦م وحتى نهاية عام ٢٠٠٣م. (المبالغ بالقيمة الاسمية وبمليارات الريالات)

السنوات	بنوك	صناديق	مؤسسات	أفراد/ جمهور	المجموع
١٩٩٦	٢١,٥	٤	٦,٥	١٢	٤٤
١٩٩٧	٧٦	٧,٢	٠	٣١	١١٤,٢
١٩٩٨	١٠٢,٩	٤٩,٨	١	٣٦,٩	١٩٠,٦
١٩٩٩	١١٤,٩	٨٥,٣	١٣,١	٤٢,٣	٢٥٥,٦
٢٠٠٠	٩٣,٤	١٠١,٤	٢٦,٧	٦٠,٧	٢٨٢,٥
٢٠٠١	٤١,٦	١١٨,٤	٤٠,٩	٧٤,٩	٢٧٥,٨
٢٠٠٢	٢١,٦	١٣٢,٤	٧١,١	٧٨,٩	٣٠٤
٢٠٠٣	٩٢,٢	١٧٨,٥	٩٦,٣	٥٣,٩	٤٢٠,٩
الإجمالي	٥٦٤,١	٦٧٧,٣	٢٥٥,٦	٣٩٠,٦	١٨٨٧,٦

المصدر/ البنك المركزي اليمني / إدارة خدمة الدين العام

جاء إصدار أذون
الخزانة كنتيجة
حتمية للأوضاع
المتدهورة

الأهداف المحددة لأذون الخزانة :
جاء إصدارات أذون الخزانة كنتيجة حتمية للأوضاع الاقتصادية المتدهورة

خاصة بعد حرب الخليج وحرب الانفصال التي أدت إلى تدهور الوضع الاقتصادي والمالي من خلال زيادة المصروفات عن الإيرادات وتضخم العجز المالي في الموازنة العامة للدولة مما أدى إلى تغطية ذلك العجز عن طريق الاصدارات النقدية التي تركت لها أثرا مباشرا في زيادة التضخم النقدي مما ساهم في تدني العملة الوطنية أمام العملات الأجنبية لذلك جاءت إصدارات أذون الخزانة كجزء من برنامج الإصلاح المالي والاقتصادي للبلاد، وقد كانت الأهداف المحددة لأذون الخزانة هي:

امتصاص
التضخم
واستقرار سعر
الصرف وتغطية
العجز أهم
الأهداف

- ١- امتصاص التضخم النقدي الذي بلغ أكثر من ١٠٤٪ في عام ١٩٩٤ م وأدى إلى تدهور قيمة الريال اليمني.
- ٢- تحقيق الاستقرار والثبات في أسعار صرف العملات الأجنبية من خلال توجيه الفائض من المدخرات لدى المؤسسات والبنوك والأفراد نحو استثمارها في أذون الخزانة بدلا من المضاربة في شراء العملات الصعبة مما يؤدي إلى زيادة الطلب عليها مع قلة المعروض منها مما ينعكس في ارتفاع سعر هذه العملات.
- ٣- تغطية العجز في الموازنة العامة للدولة من مصادر إقراض محلي داخلي بدلا من اللجوء لتغطية العجز عن طريق الاصدارات النقدية التي أدت إلى زيادة التضخم النقدي وتدهور قيمة الريال اليمني أو بدلا من تغطية العجز من مصادر القروض الخارجية وما يترتب عليها من فوائد بالعملة الصعبة، بالإضافة إلى الشروط المتعنتة التي ترافق منح مثل هذه القروض.

نتائج

من خلال التتبع لحجم الاصدارات التي تمت لأذون الخزانة وتحقيقها الأهداف المرجوة منها يمكننا الوصول إلى النتائج التالية:

- ١- بالنسبة للتضخم النقدي تمكنت أذون الخزانة من امتصاص التضخم النقدي الذي كان قائما، حيث بلغ معدل التضخم في عام ٩٤ م حوالي ١٠٤٪ وتمكنت الإجراءات المتعلقة بسحب الطلب النقدي الزائد من خلال إصدارات أذون الخزانة التي ساعدت على امتصاص الزيادة في العرض النقدي وانخفاض معدل التضخم بشكل كبير حيث وصل في عام ٢٠٠٠ م إلى حوالي ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وهو معدل مقبول اقتصاديا، ومع ذلك عاد للارتفاع من جديد حيث بلغ ١١,٩٪ عام ٢٠٠١ م، وبالتالي فإن الاعتماد بشكل أساسي على هذه السياسة لكبح جماح التضخم ليس كافيا، لأن هذه السياسة تركز على مظاهر المشكلة دون أن تتجه إلى معالجة أسبابها الحقيقية والمتمثلة في اختلال البنيان الإنتاجي للاقتصاد وجمود البنيان الاقتصادي في مجمله (أنظر الجدول ٣).

الاعتماد على
سياسة أذون
الخزانة لا يكفي
لكبح جماح
التضخم

كما إن سياسة أذون الخزانة التي يستخدمها البنك لا تؤدي إلى إنعاش قوى العرض وزيادة الناتج المحلي الإجمالي بصورة كبيرة، كما أن ثمة ملاحظة جديرة بالانتباه، هي أن البنك يتعامل مع التضخم باعتباره ظاهرة نقدية بحتة، لا علاقة لها بالأداء الحقيقي للاقتصاد، ومن ثم فإن العلاج الذي يقترحه البنك هو علاج من النوع (المسكن) للظاهرة المرضية، وليس علاجاً جذرياً. الأمر الذي يشرح

الاستقرار للاهتزاز والتقلبات الفجائية في المستوى العام للأسعار. ونتيجة لزيادة حجم الإصدارات بشكل مرتفع حيث بلغ حجمها خلال الأعوام ٢٠٠١، ٢٠٠٠، ٢٠٠٢م (٣٠٤، ٢٧٥، ٢٨٢) على التوالي مما أدى إلى ارتفاع معدل البطالة.

الجدول (٣) يبين تطور معدل التضخم خلال الفترة ١٩٩٤-٢٠٠٢م %

السنوات	معدل التضخم
١٩٩٤	١٠,٤
١٩٩٥	٥٥,١
١٩٩٦	٣٠,٧
١٩٩٧	٢,٢
١٩٩٨	٦,٠
١٩٩٩	٨,٧
٢٠٠٠	٤,٦
٢٠٠١	١١,٩
٢٠٠٢	١٢,٢

المصدر/ الجهاز المركزي للإحصاء

لعبت أذون
الخزانة دوراً
نسبياً في استقرار
سعر الصرف

٢- بالنسبة للدور الذي قامت به أذون الخزانة بتثبيت واستقرار سعر صرف العملات من خلال امتصاص التضخم النقدي وتحقيق استقرار في قيمة الريال اليمني أمام العملات الأجنبية من خلال امتصاص المدخرات الفائضة لدى الجمهور والمؤسسات والشركات التجارية والتي كانت تتجه نحو المضاربة في شراء العملات الأجنبية مما أدى إلى زيادة الطلب على شراء العملات الأجنبية مع قلة المعروض منها في السوق، فترتب على ذلك ارتفاع أسعار هذه العملات أمام الريال اليمني، وقد تمكنت أذون الخزانة فعلاً من خلق فرصة استثمار للفائض من المدخرات بالسوق من خلال العائد المرتفع الذي بدأت به هذه الإصدارات والذي بلغ ٣٢٪ سنوياً، وبأجل قصير لمدة شهر واحد، وثلاثة شهور فقط.

إلا أن الملاحظ من خلال المتابعة لبيانات سعر الصرف في السوق عام ١٩٤-٢٠٠٣م كما في الجدول (٤) ونلاحظ أن الدور الذي قامت به أذون الخزانة في تحقيق استقرار سعر الصرف كان دوراً نسبياً ولم يحقق الاستقرار المطلوب، إضافة إلى ذلك تزايد سعر الصرف من عام ١٩٤م إلى يومنا هذا بنسب مرتفعة، ولعب البنك المركزي دوراً معاكساً لذلك، عن طريق إنزال الدولار للبيع في السوق عن طريق المزاد، أي لعب دور في رفع قيمة الصرف للعملات الأجنبية عكساً عن الدور الذي تقوم به إصدارات أذون الخزانة، وبمعنى أوضح أن الدولة ممثلة بالبنك المركزي قد لعب دوراً بارزاً في رفع سعر الصرف مما ترتب عليه تحميل الدولة بالعائدات الكبيرة التي تدفعها للمشاركين (المستثمرين) في أذون الخزانة، والتي بلغت عام ٢٠٠٢م (أربعة وثمانين مليار ريال) كانت تكفي للقضاء على البطالة، وتشغيل جزء كبير من العاطلين عن العمل وفي

البنك المركزي
أنزل الدولار
لبيع ما أدى إلى
نتائج عكسية لما
تقوم به أذون
الخزانة

تحول أموال السوق للاستثمار في أذون الخزانة سبب ركود في النشاط التجاري

نفس الوقت نتيجة لامتناع بعض جزء من السيولة المتداولة في السوق عن طريق أذون الخزانة، مما أثر مباشرة على حركة النشاط التجاري من خلال خلق فرص استثمار بعائد مرتفع جداً في أذون الخزانة مما جعل البنوك والمؤسسات تستثمر رأس المال في أذون الخزانة، ولم يقتصر الاشتراك على الفائض من المدخرات لهذه الجهات حسب ما هو محدد لها، بل بجزء كبير من رأسمالها.

وقد أدى ذلك إلى تحول جزء لا يستهان به من الأموال الموجودة في السوق نحو الاستثمار بالبنك المركزي في أذون الخزانة مما خلق ركود في النشاط الاقتصادي والتجاري بالسوق وانتعاش للسيولة التي تتكدس بها ممرات ومخازن وخزائن البنك المركزي.

خلاصة القول إن أذون الخزانة في مجال تحقيق استقرار في أسعار الصرف للعملة الأجنبية قد تمكنت تقريباً من تحقيق ذلك من خلال العائد المرتفع لأذون الخزانة، إلا أن تدخل الدولة عن طريق البنك المركزي في إنزال كمية معروضة للبيع من الدولار بسعر المزاد (أي السعر الأعلى) لكأنت سياسة أذون الخزانة قد حققت هذا الهدف بمستوى جيد وأفضل مما حققته فعلياً.

الجدول (٤) يبين تطور سعر الصرف خلال الفترة (٩٤-٢٠٠٣م)

السنوات	سعر الصرف ريال لكل دولار
١٩٩٤	١٠١
١٩٩٥	١٢٧,١٢
١٩٩٦	١٢٦
١٩٩٧	١٣٢,٤٦
١٩٩٨	١٤١,٦٥
١٩٩٩	١٥٩,٦٥
٢٠٠٠	١٦٥,٦٩
٢٠٠١	١٧٣,٢٧
٢٠٠٢	١٧٩,٠١
٢٠٠٣	١٨٤

المصدر/ البنك المركزي لشهر يناير ٢٠٠٣م

تغطية العجز عن طريق أذون الخزانة أقل ضرراً من القروض الخارجية

٣- أما بالنسبة للهدف الثالث وهو تغطية العجز في الموازنة العامة للدولة من القروض المحلية بدلاً من تغطية العجز عن طريق الإصدارات النقدية التي أدت إلى ارتفاع التضخم النقدي وبالتالي انخفاض قيمة العملة الوطنية أو تغطية العجز من مصادر قروض خارجية وما يتبعها من قيود وشروط وفوائد باهظة الثمن. فمن المسلم به أن تغطية العجز عن طريق القروض المحلية (أي إصدارات أذون الخزانة) هو أقل المصادر ضرراً. وقد تمكنت أذون الخزانة من تغطية العجز في موازنة الدولة على النحو التالي:

١- في عام ١٩٩٦ بلغ إجمالي العجز في الموازنة العامة للدولة ٤٦٤

مليون ريال، ويشكل نسبة ألق من ١٪ من الناتج المحلي الإجمالي، بينما كان المصدر من أذون الخزانة أكثر من العجز، كان هذا من أجل تغطية العجز في الموازنة العامة للدولة.

٢- نجد أن القيمة الفعلية لإجمالي أذون الخزانة لعام ١٩٩٧ م كان (١٠٧,٧) مليار ريال، بينما كان العجز القائم في نهاية ٩٧ م للموازنة العامة (١٢,٩) مليار ريال، نلاحظ أن حجم المصدر من أذون الخزانة كان أكبر من العجز وذلك من أجل امتصاص الفائض من المدخرات بالمؤسسات والشركات والجمهور بدلاً من اتجاهها نحو المضاربة في شراء العملات الأجنبية ونستطيع القول أن الأهداف المرجوة من أذون الخزانة كانت محققة نسبياً تصل إلى ٩٠٪.

٣- في عام ١٩٩٨ م كانت القيمة الفعلية المحصلة من إصدارات أذون الخزانة ١٨٠ مليار ريال، بينما كان العجز في الموازنة العامة لعام ٩٨ م (-٥٦,٨) مليار ريال، فقد كان السبب الرئيسي في ارتفاع العجز في هذا العام انخفاض أسعار النفط عالمياً، والذي وصل قيمة البرميل إلى (٩-٨) دولار للبرميل الواحد. ومن المعروف أن عائدات النفط تغطي ما يقارب من ٥٦٪ من الموازنة العامة، وهذا مما يؤدي إلى ارتفاع العجز في الموازنة العامة في عام ٩٨ م بسبب انخفاض أسعار النفط العالمي، مما أدى إلى زيادة حجم الإصدارات لأذون الخزانة لتغطية هذا العجز المرتفع. واستمر هذا الحال حتى نهاية النصف الأول من عام ١٩٩٩ م إلا أنه ومنذ شهر ٧/١٩٩٩ م بدأت أسعار النفط تحقق ارتفاعاً جيداً وصل إلى (٢٨-٢٥) دولار للبرميل الواحد، وبالتالي أدى ذلك إلى تحسين في الموازنة العامة للدولة.

٤- في عام ١٩٩٩ م بلغت القيمة الفعلية المحصلة من إصدارات أذون الخزانة (٢٣٥,١) مليار ريال، بينما في هذا العام قد حققت الموازنة العامة فائضاً بلغ ٢٣,٩ مليار ريال، ويشكل هذا الفائض نسبة ١,٥٨٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

وبالتالي فإن الضخ الكبير لإصدارات أذون الخزانة لتمويل هذا العجز لم يكن متوازناً، وبالتالي انتهى تحقيق الهدف الثالث لأذون الخزانة بتحقيق فائض منذ عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠٢ م (انظر الجدول ٦). ومعنى ذلك أنه بالقدر الذي يحول هذا الأسلوب لتمويل العجز دون ارتفاع في معدل التضخم، فإنه يفرض أعباء مالية مستقبلية لا بد من الاستعداد لمواجهةها.

وليس من المستبعد أن يصبح عبء خدمة أذون الخزانة واحداً من أكبر قيود الإنفاق في المستقبل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشكل أعباء وفوائد الدين الداخلي عبئاً كبيراً على الاقتصاد الوطني في المستقبل المنظور وعلى الموازنة بدلاً من أن تكون عاملاً جديداً من عوامل تغذيتها فضلاً عن المحظور الشرعي لهذه الأداة الربوية، فقد بلغت مدفوعات فوائد أذون الخزانة حوالي ١٠,٥ مليار ريال، و(٢٠,٥) مليار ريال في عام ١٩٩٨، ١٩٩٩ م على التوالي. إن تخفيض عجز الموازنة العامة كان على حساب تكلفة اجتماعية واقتصادية

انتهى تحقيق
الهدف الثالث
لأذون الخزانة
منذ عام ١٩٩٩ م

سيصبح عبء
خدمة أذون
الخزانة أكبر
قيد على الإنفاق
في المستقبل

كبيرة تحملها أصحاب الدخل الثابتة والمحدودة بسبب ارتفاع أسعار السلع والخدمات ورفع الدعم عن سلع الاستهلاك الأساسية فضلاً عن الجمود الذي أصاب بعض أجزاء الاقتصاد ونتيجة هذه السياسة الانكماشية وكذلك الجمود في مؤسسات الدولة ووقف التوظيف.. ومن ناحية أخرى لم تتخذ إجراءات صارمة للحد من الإنفاق الترفيهي والمظهري والحد من انتشار الاختلالات المالية والإدارية في المؤسسات المختلفة.

لم تتخذ
إجراءات صارمة
للمحد من الإنفاق
الترفي والمظهري

جدول (٦) يبين العجز/الفائض في الموازنة العامة والقيمة الفعلية لحركة الإصدارات لأذون الخزانة.

(المبالغ بليارات الريالات)

القيمة الفعلية	العجز/الفائض في الموازنة العامة		السنوات
	فائض	عجز	
٤١		٠,٥	١٩٩٦
١٠٧,٧		٧,٨	١٩٩٧
١٨٠,١		٥٦,٨	١٩٩٨
٢٣٥,١	٢٣,٩		١٩٩٩
٢٦٧,٣	٩٧,٤		٢٠٠٠
٢٦١,٦	٤٠,٣		٢٠٠١
٢٨٩,٣		١٤,٦	٢٠٠٢
٣٩٨,٤		٩٧	٢٠٠٣

وبالتالي نستطيع القول أن الأهداف الثلاثة لأذون الخزانة كانت معطلة تماماً ابتداء من النصف الثاني من عام ١٩٩٩ م حتى تاريخه. وإن لم يبق منها إلا العبء الكبير الذي بلغ في عام ١٩٩٩ (٢٠,٥) مليار ريال ما دفعته الدولة فوائد على أذون الخزانة لعام ١٩٩٩ فقط.

معالجات

ساهمت أذون
الخزانة في بعض
المعالجات
ولكنها تدرجت
في الضعف حتى
تعطلت

قامت الدولة بوضع إجراءات مشددة إلى البنك المركزي بأن حجم إصدار أذون الخزانة في عام ٢٠٠٠ م أكثر من قيمة المستحقات القائمة على الدولة من عام ١٩٩٩ م والتي بلغت (١٢٠) مليار ريال. وحدد المنشور الصادر من رئاسة مجلس الوزراء بإصدار (١٢٠) مليار ريال من أذون الخزانة لتغطية المستحقات القائمة على الدولة فقط، إلا أن هناك خلل في آلية التنفيذ تؤدي إلى وجود زيادة في الإصدار كما حدث في الأعوام الماضية.

وبرغم أن الإجراءات الصادرة من رئاسة مجلس الوزراء في عام ٩٩ م كانت تحدد حجم الإصدارات لأذون الخزانة بمبلغ (١٢٠) مليار ريال، إلا أن آلية التنفيذ بالبنك المركزي وتدني سعر النفط في النصف الأول من عام ٩٩ م أدى إلى

زيادة حجم الإصدارات والتي وصلت بعائدها إلى ٢٥٥ مليار ريال. وبناء على ما سبق، وعلى ضوء البيانات والأرقام نجد أن أذون الخزانة قد ساهمت في بعض المعالجات المالية خلال عام ٩٦، ٩٧ م بينما في عام ٩٨ م والنصف الأول من ٩٩ م كان هناك تفاوت في تحقيق الأهداف، وحدث تضارب في آلية السوق والتنفيذ.

ومنذ النصف الثاني لعام ٩٩ م وحتى يومنا هذا بدأت تتجه أذون الخزانة نحو الجانب السلبي، ومن المفروض أن تتم هذه الإصدارات لأذون الخزانة بدراسات مسبقة تحدد الحجم المناسب والفعال المصدر منها بحيث تتفاعل مع حركة النشاط التجاري والمصرفي إيجابياً لا سلباً. وبحيث تخلق دفعة للأمام نحو الاستثمار الذي لا يشكل عبئاً كبيراً على الدولة ولا تعمل على تجميد وشل حركة النشاط التجاري والمصرفي، وبالتالي التأثير على حركة التنمية ومعدل النمو الاقتصادي للدولة، وكذلك يترتب على هذه السياسة آثار سلبية أخرى، حيث تفضي إلى الركود الاقتصادي، وإلى التراخي في تحصيل الإيرادات العامة، وإلى التوسع في الإنفاق العام الجاري، فضلاً عن أنها تؤدي إلى تناقص مصادر تمويل الاستثمار والتنمية الاقتصادية.

لذلك يجب مراعاة الحذر والدقة، والتحذير من التماذي في إتباع الأسلوب القائم، ومن أثره على مستقبل مالية الدولة العامة في الأجل الطويل.

حركة أذون الخزانة المصدرة من عام ٩٦ م وحتى نهاية عام ٢٠٠٣ م

الفترة	حجم الإصدارات			حركة المشاركين				معدلات أخرى	
	القيمة الاسمية	القيمة الفعلية	عائد تتحمله الحكومة	بنوك	صناديق التقاعد	شركات	أفراد/ جمهور	متوسط العائد السنوي	متوسط سعر الدولار
١٩٩٦	٤٤	٤١	٣	٢١,٥	٤	٦,٥	١٢	٢٥%	٩٥
١٩٩٧	١١٤,٢	١٠٧,٧	٦,٥	٧٦	٧,٢	-	٣١	٢٣%	١٢٥
١٩٩٨	١٩٠,٦	١٨٠,١	١٠,٥	١٠٢,٩	٤٩,٨	١	٣٦,٩	٢٣%	١٣٢
١٩٩٩	٢٥٥,٦	٢٣٥,١	٢٠,٥	١١٤,٩	٨٥,٣	١٣,١	٤٢,٣	٢٢%	١٣٥
٢٠٠٠	٢٨٢,٥	٢٦٧,٣	١٥,٢	٩٣,٤	١٠١,٧	٢٦,٧	٦٠,٧	١٨%	١٤٢
٢٠٠١	٢٧٥,٨	٢٦١,٦	١٤,٢	٤١,٦	١١٨,٤	٤٠,٩	٧٤,٩	١٧%	١٥٣
٢٠٠٢	٣٠٤	٢٨٩,٣	١٤,٧	٢١,٦	١٣٢,٤	٧١,١	٧٨,٩	١٣%	١٧٧
٢٠٠٣	٤٢٠,٩	٣٩٨,٤	٢٢,٥	٩٢,٢	١٧٨,٥	٩٦,٣	٥٣,٩	١٣%	١٨٥
المجموع الكلي	١٨٨٧,٦	١٧٨٠,٥	١٠٧,١	٥٦٤,١	٦٧٧,٣	٢٥٥,٦	٣٩٠,٦		

إلهي.. إلى من نشكوا؟

اللهم إنا نشكوا إليك

قلوبا قد أجدبت عن الإبصار نحو مرادك،
وجوارح قد تكاسلت عن أداء واجبات طاعتك،
وبصائر قد توانت عن النظر إلى ما ينصر به أولياؤك،
وأفئدة قد عجزت عن الاهتداء إلى واضح صراطك،
وكثرة ذنوب قد طغت على مسارب الوصول إليك،
وسينات حالت بيننا وبين الاعتصام على التعاضد فيما يرضيك،
ونفوسا بين جوانحننا مهدت للنيل من تدنيس ساحات حرمك،
وجهلا عم مداخل الانعتاق من حميم غضبك،
ومن فرقة وتباعدا زرعها الشيطان بين أشجار التواصل المثمر بين عبادك..

إلهي..

إلى من نشكوا؟

وبمن نعوذ؟

تعالى مجدك، وعظمت مشيئتك، وعلا حكمك، ودان على كل شيء قهرك.
طهرنا من أدران القلوب والبصائر حتى نرجوا ما عندك،
وندفع ما يسخطك ويريب عبادك..
اجعلنا أداة خير على سبيل نجاتك، اضمم الجوارح إلى القلوب،
والأفئدة إلى الأفئدة، وكن لنا سميعا ورقيبا وناصرا ووليا..

اللهم:

اجعل لنا عند عبادك من المؤمنين والضعفاء والمساكين مكانا ومنزلا،
وفي أعين المذنبين والمستكبرين والطغاة والمتجبرين خوفا وفزعا،
وعلينا أمنا واستقرارا..

إلهي..

دعوناك عن فقر حاجة أحاطت بنا، فانظر إلينا برحمتك التي عمت
جنك وإنسك، وأرضك وسمائك، وبرك وبحرك، وجميع مخلوقاتك..

يا أرحم الراحمين

عنق

الزجاجة!

يسر البعض منا أن يرى نفسه في موضع الهجوم أو في موضع الدفاع،
برغم ما في الموضوعين من علاقة تباين وتضاد تجعل من الصعب على
شخص إيجادتهما في أن!!

.....

فلماذا نعيش حالة التخلف إذن؟

سؤال تقود الإجابة عنه إلى فتح ملفات عالقة، دائماً ما نؤجلها إما لحدة
الصراع الذي نعيشه، وإما لسبب آخر يتعلق بالذهول -إن جاز التعبير-
أمام ما ينجزه الآخر..

إن السعي وراء توصيف واقعي لمشاكلنا الداخلية -كمسلمين- أدعى
للبحث من محاولة إجابة السؤال السالف، خصوصاً وأن ذلك السؤال لم
يصل بعد -في الوطن العربي- إلى مستوى الطرح فضلاً عن مستوى
الإجابة!

قراءة متأنية -تمثل روح الشرع- لسلوك المجتمعات العربية وعلاقتها
ببعضها، تجعلنا نقف أمام حقيقة الوضع المأساوي الذي أصبحنا نعيشه
اليوم..

وضع بات الفرد المسلم واقع فيه بين فكي كماشة؛ فيما أن تسحقه
البطالة، وإما أن تأسره العمالة، ودون أدنى اعتبار لحرية المكفولة!..

خيار مرّ يبهر بالواحد بعيداً عن شاطئ المجموع، تماماً كما قد يرسى
بالمجموع في ميناء الواحد!! فأى واقع هذا الذي نرضخ له؛ طفت عليه
الأنانية وغرقت فيه الفضيلة..

ذلك التوصيف، قد نقرأه بحروف أخرى وصيغة مغايرة لكنه ولا يد
سيكون بنفس المعنى، ربما أنه مقتضب غير أن فكرته موضحة للغاية..

وللدلالة على ذلك؛ لم نعد -مثلاً- نستسيغ من يقول بأنه لولاه ولولا
أبيه وجده لضاع الحق وحُرف الدين!!.. تماماً كمن يكيل التهمة تلو الأخرى
ثم يقول بأنه حريص على بيضة الإسلام!!

الزجاجة!